

وقد بناه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسس على التقوى من أول يوم^(١)
بعد مقدمه من مكة إلى المدينة ، دار السلام ، وهو ثل الإسلام : من بعد أن أسس
مسجد قباء^(٢) في بني عمرو بن عوف ، وكان قد أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

أمر صلوات الله وسلامه عليه باتخاذ اللّسين فاتخذ ، وبني المسجد في مبرك
ناوته . وهو يومئذ مرّ بد تمر^(٣) ليتيمين في المدينة ، وكانا راغبين أن يجعل الله
هبة لله ورسوله ، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا الثمن ، وأبتاعه منهما بعشرة دنانير ،
أداها من مال أبي بكر رضي الله عنه ، ثم سُقف بالجريد ، وجعلت عُمدته من
خشب النخل ، وعمل فيه المهاجرون والأنصار ، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل
معه اللّسين في بنائه ، وهو يتمثل بقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

هَذَا الْحِمَالُ ، لَا حِمَالُ خَيْرُ
هَذَا أَكْبَرُ - رَبَّنَا - وَأَطْهَرُ^(٤)
وقوله :

اللهم إن الاجرَ أجرُ الآخرة فارحِم الأنصارَ والمهاجرة

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس : وكان صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت
المقدس بعد مقدمه إلى المدينة حتى ولاه الله القبلة التي يرضاه وهي الكعبة البيت
الحرام ، على رأس سبعة عشر شهرا : وبما جاء في فضل هذا المسجد ما رواه الامام
أحمد بإسناد صحيح من حديث أنس رفعه « من صلى في مسجدى أربعين صلاة
لا تقوته صلاة كتب له برائة من النار ، وبرائة من العذاب ، وبرائة من النفاق » .
وأما المسجد الثالث فهو بيت المقدس ، مسجد الانبياء السابقين ، وقبلة الأمم
السالفين ، وقبلة هذه الأمة كذلك سبعة عشر شهرا كما قدمنا آنفا ؛ وورد أن
الصلاة فيه بخمسة صلاة فيما سواه^(٥) إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ... »
وسيفر تك وجه الحق في سبب نزولها .

(٢) قباء من هوالى المدينة على نحو ثلاثة أميال منها ، وهي في الأصل اسم بئر
في هذا الموضع . (٣) المراد بوزن منبر : الجرين أو مربوط الايل .

(٤) أى المعمول من اللبن والحجارة في بنية هذا المسجد ، أبر وأزكى عندك يا ربنا من
أحوال خبير نمرها وزيبها . (٥) رواه البزار بإسناد حسن .

وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلا لا ثلاثا : حكما يصادف حكمه ^(١) فأوتيته : وملكا لا يذغى لاحد من بعده فأوتيته : وسأل الله تعالى حين فرغ من بنائه ألا يأتية أحد لا ينهزه ^(٢) إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . وروى أبو داود عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) أنها قالت : يا رسول الله ، أفتنا في بيت المقدس ، فقال « إيتوه فصلوا فيه ، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله » .

هذه هي المساجد الثلاثة المقدسة ، التي تشد الرحال اليها ، وتحتفل المشاق في سبيلها ، وتنفق النفقات في زيارتها والصلاة فيها : وأما غيرها فلا يدركها في هذه المنزلة . ولا يلحقها في تلك المزية . فالذين يتحملون النفقات في السفر إلى مسجد سواها ، أو يرهقون أنفسهم في الذهاب إلى غيرها ، جاهلون بسنة نبيهم ، أو متبعون لأهوائهم ^(٤) : وحق على أهل العلم أن يهدوهم صراطا سويا .

نعم : إن الرحلة للقاء الصالحين ، أو الأخذ عن العلماء العاملين ، أو النظر في ملكوت السموات والأرض : كل ذلك مما رغب فيه الكتاب والسنة وشهدت به سيرة السلف : قال الامام الغزالي : كان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن زدى ما كان سفره ضائعا . ورحل جابر بن عبد الله إلى مصر مع عشرة من الصحابة ، فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله ابن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه ^(٥) . والأخبار والآثار في الارتحال إلى طلب العلم ، وزيارة الإخوان . والشهيد في آيات الكون ، وآثار السابقين ، أكثر من أن يلم بها كتاب فضلا عن مقال

(١) أي أن يكون حكمه موافقا لحكم الله عز وجل وشريعته .

(٢) لا يخرج من ولا يدفعه .

(٣) خادمه .

(٤) ومن مولاة أقوام أولعوا بالوالد ، ورأوا فرضا عليهم أن يؤدوا مساجد الله

وعبادته ، بشدة زحامهم ، وكثرة ضياعهم ، وبلغ أقدارهم .

(٥) أنظر إجماعنا في آداب السفر .

والحق بعض العلماء مسجد قباء بهذه الثلاثة فأجاز شد الرجال اليه لأنه أول مسجد بنى في الإسلام ، وأول مسجد أعلن فيه النبي عليه والصلاة والسلام الجماعة بأصحابه ، وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة ، وكانت المساجد قبلة خاصة للأفراد أو القبائل ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزوره كل سبت راكباً أو ماشياً ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحرص على ذلك اقتداء به صلى الله عليه وسلم .

واختلف العلماء في أي المسجدين نزل قوله تعالى «المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» ؟ فذهب جماعة من منهم مالك - إلى أنه مسجد قباء محتجين بما أخرجه مسلم عن أبي سعيد قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو مسجدكم هذا ، يعني مسجد المدينة . قال النووي : وهذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن ، ورد لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء .

والحق كما قال الحافظ ابن حجر أن كلا منهما أسس على التقوى من أول يوم بنى فيه ، وأن قوله تعالى في بقية الآية «فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين» يؤيد أن المراد مسجد قباء كما روى في سبب نزولها بسند صحيح . والمر في إجابته صلى الله عليه وسلم بأنه مسجد المدينة رفع ما يخطر بالبال من أن التأسيس على التقوى خاص بمسجد قباء ، وبيان أن مسجد المدينة يشاركه في هذه المزية ، ويمتاز عنه بفضائل أخرى .^(١)

وبعد ، فإن الحنيفية السمحة تدعو إلى الأسفار النافعة ، والرحلات المباركة ، التي تثمر ثمرها وتؤتي أكلها ، وتدل على الخير والهدى ، وتدفع الشر والردى ؛ كما تحذر من الأسفار العابثة والضائعة ، التي لا تكسب صاحبها في الدين أجراً ، ولا في الدنيا خيراً .

(١) وأما زيارة سلوات الله وسلامه عليه فكان المقصود الأول منها مواصلة أهل قباء وتفقد أحوالهم وأحوال من ظاب منهم من شهود الجمعة معه وهذا هو سر تخصيص الزيارة بالسبت .

فطرة الله

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد الهدى
المدرس في كلية الشريعة

قال الله تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .
يذكر الله عز وجل في هذه الآية ، أن الاعتراف به ، وإفراده بالالوهية ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فإذا نُحِلَ المرء ونفسه ، حكم بأنه مربيوب لإله قادر حكيم ، خلقه وأنعم عليه ، وأن لهذا الإله واحد لا شريك له ، ولا سلطان لأحد مع سلطانه ؛ يرشده إلى ذلك عقله الذي ركب فيه ، ومنح قدرة يستطيع بها إدراك الحقائق ، والتمييز بينها وبين الأباطيل ، فهو يقول لنفسه : أنا قد وجدت بعد أن لم أكن ، فحال أن يكون وجودي بدون موجود ، ثم هذا الموجود الذي أوجدني لا بد أن يكون قادراً حكماً منعماً ، لأنه قد أوجد كثيراً من أمثالي ، وأنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى ، تحيط بنا من كل جانب ، ولم يتركنا في هذه الحياة دون أن يمنحنا وسائل العيش فيها ، وأدوات السكون والقرار إليها . وقد جعل ذلك كله على نظام محكم متقن ، لا يعتريه الخلل ، ولا يتطرق إليه الفساد ؛ ولا بد أن يكون الموجود لهذا كله ، والمنعم بهذا كله ، والمتقن لهذا كله ، إلهاً واحداً ليس كمثل شيء ، لأنه لو كان متعدداً له نظير أو نظائر ، لاضطرب النظام ، وفسد الكون ، وذهب كل إله بما خلق ، وعلا بعضهم على بعض ...

هذه القوة الفطرية المركوزة في الإنسان ، والتي ترشده إلى إدراك الحق والواقع في شأن الالوهية إذا خلا من المؤثرات المصنوعة ، والعوامل الطارئة ... هي التي يذكرها الله عز وجل في هذه الآية ، ويذكرها في آيات أخرى ، على صورة أخرى ، إذ يقول : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إنا كنا عن هذا غافلين ، أو نكروا ما أنزلنا من قبل ، وكنا ندرى من
بعدهم ، أفدّهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك تفصل الآيات ، ولعلمهم يرجعون ،
(١٧٢ - ١٧٤ / الأعراف) .

فسواء أكان هذا من قبيل الحقائق التي وقعت وأخبرنا الله بها ، أم من
قبيل التمثيل والتصوير ، فقد اعترف أبناء آدم بأن لهم رباً ، وأن هذا الرب
هو المستحق وحده لعبادتهم : اعترفوا بذلك قولاً ونطقاً ، أو تكويناً وخلقاً ،
فلم يعد لأحد عذر في أن يخرج على هذه الحقيقة التي آمن بها وقررها ، وهو
خال من كل مؤثر ، بعيد عن كل إضلال وتحكم ؛ ولم يعد لأحد حق في أن يزعم
أنه إنما أشرك بالله لأن آباءه قد أشركوا فهو قد ورث عنهم الباطل من
حيث لا يدري ، ولم يدعه ويخترعه من ذات نفسه حتى يؤاخذ به ويعاقب
عليه ؛ لم يعد لأحد أوقى العقل أن يعتذر بهذا العذر ، أو يحتاج بهذه الحجة ،
وفي السكون آيات ، وفي الخلق شواهد بينات .

وشبه بهذا في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به » ، إذ قلتم سمعنا وأطعنا ، (٧ / المائدة) .

والقرآن الكريم يسوق هذه القطرة التي من شأنها أن تؤمن بالله وتفرد
بالربوبية ، مساقاً آخر حين يتعالم إلى العقول وما في السكون من آيات وشواهد
تدل على الله ، فيقول : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن
في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والأرض آيات لقوم يعقلون » ، (١٦٣ - ١٦٤ / البقرة) .

ويقول : « والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير . إن
في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الألباب ؛
الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانه » ، (١٨٩ - ١٩١ / آل عمران) .

ويقول : ، أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من
فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج :
تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات
وحباً الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقاً للعباد ، وأحيينا به بلدة
ميتاً ، كذلك الخروج ، (٦ - ١١ / ق) .

ويقول : ، أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرُونَ . لو كان
فيها آلهة إلا الله لفسدنا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر
من ممي وذكر من قبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون .
(٢١ - ٢٤ / الأنبياء) .

بل يصل في تعظيم شأن البرهان والعقل إلى أن يقول : ، ومن يدع مع الله
إلهاً آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه . (١١٧ / المؤمنون) .
ومن المعلوم أنه لا برهان لمن يدعو مع الله إلهاً آخر ، ولكنه مع ذلك
ساقه مساق الممكن ، اعتداداً بالعقل وثقة بحكمته .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المنبثة في الكتاب الكريم التي تخاطب
العقول ، وتستشهد بما في السكون من آيات : ونفهم منها أن الله جلت حكمته قد
طبع الخلق وفطرهم على الإيمان به وتوحيده ، وأن مظهر ذلك هو العقل الذي
لا يسعه حين يتدبر الدلائل ويرى هذا السكون البديع إلا أن يعترف ويؤمن
بصانعه القدير .

وقد جمع الله عز وجل في بعض الآيات بين العهد الذي أخذه ، والعقل
الذي أودعه . ومن ذلك قوله : ، إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يؤفون
بعهد الله ولا يقيمون الميثاق ، (١٩ - ٢٠ / الرعد) . وقوله : ، ألم أعهد
إليك يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني ، هذا
صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ، (٦٠ -
٦٢ / يس) .

ولقد حدثنا القرآن الكريم أن المشركين أنفسهم لم يكونوا منكرين لهذه الفطرة إنكاراً صريحاً ، ولكنهم كانوا يرددون ما هم عليه من شرك بمررات يزعمونها ، كأن يقولوا : ، هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، (١٨ / يونس) أو يقولوا : ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، (٣ الزمر) . وأنهم حين يسألون عن مصدر هذا الوجود ، ومفيض هذا الإلّهام ، يترفون بأنه الله وحده دون هؤلاء الشركاء الذين اتخذوهم : ولذلك انفع الرسل بهذه الفطرة ، وخاطبوا في أممهم هذه الغريزة ، واتخذوا منها حجة قائمة دامغة على تناقض المشركين مع أنفسهم ، وخروجهم على مقتضى العقل : ، وإن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ، (٨٧ / الزخرف) ، قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ، (٣١ / يونس) ، أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تغتربوا شجرها ؟ إله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ؟ إله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ إله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون . أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ؟ إله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ، (٦٠ — ٦٣ / النمل) .

وهكذا يقف أمامهم رافعاً لواء الحق في قضية تعرفها عقولهم وتؤمن بها فطرياً ، فيبني عليها ، ويجادلهم على أساس التسليم بها ، والإذعان لها ، ويفتن في تعجيبهم والتعجيب منهم ، في هجوم عنيف ، وسخرية موجهة ، وكأنه يمسك بتلابيبهم ، أو يقبض على نواصيهم أن يفلتوا من الخيعة ، أو يهربوا من لوازمها البينة ، فهم منها في قيد أية قيد ، يحاولون الخلاص ، ولات حين مناص .

ولم يكن ذلك شأن المشركين على عهد محمد صلى الله عليه وسلم لحسب ، وإنما هو شأنهم على عهد كل رسول : كانوا يلتوون عن مقتضى الفطرة فيجابههم بها رسلكم . ويتخذون منها الحجة القاطعة عليهم : وفي ذلك يقول الله عز وجل :

« ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله : جاءتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا : إنا كافرين بما أرسلتم به ، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب . قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ، (٨ - ٩ / إبراهيم) . »

وكما جاء القرآن الكريم بآثبات هذه الفطرة . والمحااجة على أساسها ، جاءت السنة الصحيحة بذلك :

أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة — وفى رواية على هذه الملة — فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . »

وفى صحيح مسلم عن عياض ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، أى حولتهم . »

وأخرج النسائى فى سننه عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، قال : حدثنى الأسود بن سريع ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال : قتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا مقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ، ثم قال : « ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ » فقال رجل : يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : « إن خياركم أبناء المشركين ! ألا إنه ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها وينصرانها . »

فكل هذه الأحاديث تدل على ما يدل عليه القرآن الكريم من أمر الفطرة ، وأن الذى يصرف عنها إما تقليد للأباء ، وإما صارف من الهوى والشيطان .

وفى الحديث الثالث ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى أن يعامل أبناء المشركين بما يعامل به آبائهم من القتل ، أملا فى أن يثوبوا — إذا بلغوا الرشد — إلى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ويقاوموا بالعقل أسباب التعصب وبواعث الهوى .

بمناسبة المولد النبوي

سيد الانبياء في شعر أمير الشعراء

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد عنتر

المدرس بكلية اللغة العربية

أعتقد أنه لم يحفل شاعر من شعراء النهضة الحديثة ، في مصر أو في الشرق العربي ، بمدح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلما حفل بذلك أمير الشعراء أحمد شوقي بك . هنا الله روحه ، وأملر جدته شأيب رحته ، وأفاض عليه من بحال رضوانه !

كما أعتقد أن هذه الحفاوة بالرسول عليه السلام ، من شاعر ملهم مجيد ، أثر من آثار محبة هذا الشاعر للدوح ، ولما جاء به من شريعة محكمة ، جمعت إلى التوحيد محاسن الخصال ، ومكارم الأخلاق ، ونظاما كاملا للحياة الإنسانية الهنيئة السعيدة !

وقد ظهرت هذه المعاني واضحة جلية في شعره الذي سنعرض لذكر أبيات منه عند المناسبة .

ولئن تأثر شاعرنا في هذا الغرض الشعري بشعر مادم رسول الله في عصر المماليك ، الإمام المحب للحضرة النبوية ، الشاعر الذائع الصيت ، سيدي محمد البوصيري ، إن لشعر أمير الشعراء ديباجة شعرية خاصة ، ومعاني خيالية ملهمة ، وأساليب من السهل الممتنع ، تكاد تضارع أساليب الشعر في العصر العباسي الأول ! وحسبي أن أورد على دعوى هذه دليلين من أدلة كثيرة أضرب عنها صفحا لطول الكلام :

١ — قال البوصيرى فى مطلع مزيمته :

كيف ترقى رُقيك الانبياءُ باسماء ما طاولتها سماء ؟

وقال شوقى فى افتتاح مزيمته النبوية :

وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ وفم الزمان تبسم وئام !

فالقارىء الأديب يحس الفارق الكبير بين المعنيين . ويدرك بوضوح تجلّى الروح الشاعرية الفتيّة فى بيت شاعرنا ، وظهور الحقيقة الواقعية المتسمة ببعض الخيال فى بيت الإمام .

ب — قال البوصيرى فى مطلع البردة ، أو البردة :

أمن تذكر جيرانى بذى سَلَمَ مزجت دمعاً جرى من مُقلة بدم ؟

وقال شوقى فى مطلع نهج البردة :

رِيمٌ على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي فى الأشهر الحُرُم^(١)

المعنى فى بيت البردة مطروق بين الشعراء القدماء والمحدثين . وهو فى بيت النهج مبتكر جديد ، أودع فى ثوب من جواهر اللفظ وشيب . ومع هذا فأليك ما يقوله أمير الشعراء تواضعاً منه وتأديباً مع الإمام البوصيرى :

يا أحمدَ الخير لى جاءَ بتسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول سمي^(٢) ؟

المساحون وأربابُ الهوى تبّعُ لصاحب البردة الفيحاء ذى القَدَم^(٣)

مديحه فى حب خالص وهوى وصادقُ الحب يملئ صادقَ الكلام

الله يشهد أنى لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العَرَم^(٤)

وإنما أنا بعض الغابطين ومن يغبط وليك لا يُذِمُّ ولا يُكَلِّم

(١) الرِّيم بالياء : أصله الرَّم بالهمز ، وهو ولد الظبي . والقاع : الأرض المستوية . والبان :

شجر . والعلم : الجبل .

(٢) من أسماء الرسول عليه السلام أحمد ، واسم شوقى أحمد ، فهو سمى الرسول ،

وياً - اسمى : يتعالى .

(٣) أى التقدم والنفزة .

(٤) العارض : السطو . والعَرَم : الخطر الشديد .

وبعد ، فليس هذا المقام مقام موازنة أدبية بين البوصيري وشوقي ، وإنما هو مقام تجلية المداخل النبوية في شعر من شهد له شعراء المشرقين بالزعامة والإمارة على جميع شعراء هذا العصر . فلفسر في هذا الطريق نقول :

تجلى مدح شوقي لرسول الله في أربع قصائد من قصائده الغرّة ، جاءت كل قطعة منها صورة فنية رائعة ، تمثل المعاني التي تضمنتها أبدع تمثيل ، وتسمو بقارئها وسامعها من التخيل إلى التحقيق ، حتى كأنه يلبس المعنى من اللفظ بدون كد أو عناء !

١ — اختيار أمير الشعراء ممثلاً للحكومة المصرية في المؤتمر الشرق الدولي ، الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا عام ١٨٩٤ م فأشاد قصيدته الحمزية العصماء ، التي عنوانها ، كبار الحوادث في وادي النيل .

وهي تُرَبِّي على ثلاثمائة بيت من "حرّ الشعر وغالض القريض" طرق فيها موضوعات شتى ، ثم أفاض في مولد المسيح عيسى عليه السلام ، وفي حرّم دولة القياصرة ، وانتشار الظلم والفساد في أنحاء العالم شرقاً وغرباً ، وانغماس أكثر الناس في عبادة الأوثان ، واستيلاء الجاهل على النفوس ، حتى أظلم الشرق والغرب ، وعمت الفوضى ، وتطلعت القلوب إلى السماء متضرعة أن تنقذها من تلك الفوضى العاتية ، وأن تبدد عنها ذلك الظلام الحالك ، ثم قال عفا الله عنه :

أشرقَ النور في العوالم لما بشرتها بأحمد الأنبياء
بالبقيم الأتقى والبشر المؤ حى إليه العلوم والأسماء
قوة الله إن تولت ضعيفاً تعبت في مراسه الأقوياء
أشرف المرسلين آيته النطق مينا وقومه الفصحاء
جاء للناس والسرائر فوضى لم يؤلف شتاها لواء
وحى الله مستباح وشرع الله والحق والصواب وراء

(١) للراس : الممارسة والمعالجة .

فلجبريلَ جَيْشُهُ ورواحُ وهبوط إلى الأرض وارتقاء
بحسب الأفق في جناحيه نوراً نسلته النجوم والجوزاء
تلك آي الفرقان أرسلها الله ضياءً يهدي بها من يشاء
نسخت سنة النبين والرسل كما يفسخ الضياء الضياء

وماك ما قاله في إنصاف عمرو بن العاص الذي تولى فتح مصر، فجلب لأهلها
العدل والنصفة، و جلب للإسلام بها الخير والبركة : وقد أشاد الشاعر بالنيل
العظيم، وأبان بأن من يستولى عليه فقد استولى على قارة أفريقية، وأن أفريقية
يعلو شأنها، ويستقيم أمرها إذا حرر وادي النيل من منيعه إلى مصبه، بخلاء
الاعداء عن أراضيها، وأن في استرقاق النيل رق هذا القسم من اليابسة : وذلك
إذراء شائن، وعيب فاضح قال :

فأبك سمرأ إن كنت منصف عمرو إن عمراً لنير وتضوء
جاء للمسلمين بالنيل والنيل لمن يقتنيه أفريقاء
فهي تعلو شأننا إذا حرر النيل وفي رقبه لها إذراء

رحم الله أمير الشعراء ! لقد كان وطنياً خلصاً لوطنه . قبل أن يكون شاعراً
خيالياً مجيداً لشعره !

٢ — تنقل معي أيها القاريء إلى روضة أخرى من رياض شوقي في مسح خر
الكائنات ، لترى كيف يكون التفنن في القول ، ولتعرف مقدرة هذا الشاعر
على إبراز شاعريته وإبداع تفننه في مقام واحد ، بأساليب شتى ، وأفانين مختلفة .
قال من قصيدته في ذكرى المولد النبوي :

تجلى مولد الهادي وعمت	بشائره البوادي والقضايا (١)
وأسدت للبرية بنت وهب	بدأ يضاء طوقت الرقابا
لقد وضعت وهماجا منيراً	كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً	بضوء جبال مكة والقابا (٢)

(١) للذن الكبيرة ، ومفردها قصبة .

(٢) جمع قبة وهو الطريق إلى الجبل .

وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً وفاح القاع أرجساء وطاباً^(١)

ثم قال مخاطباً الرسول عليه السلام ، يذكر تفرق المسلمين ، وينعى عليهم
تضييع سنة الرسول وطريقته المثلى ، ومجرم أخلاقه وأخلاق أصحابه التي سادوا
بها الأمم :

وما للمسلمين سواك حصن
ولو حفظوا سبيلك كانت نوراً
بذيت لهم من الأخلاق رصناً
وكانت جنابهم فيها مهيباً
فلولاها لساوى الليث ذئباً
وساوى الصارم الماضى قراباً^(٢)
إذا ما الضمير مستهم وناباً !
وكان من النحوس لم حجاباً !
نحانوا الركن فانهدم اضطراباً !
وللأخلاق أجدر أن تناباً !

أظنك أيها القارىء ترى معنى أن هذا الشعر غنى بوضوحه عن الشرح والبيان ،
وأنه جمع إلى جمال الأسلوب الشعرى فى المديح نصاعة الحكم والنصائح الغالية ،
وتدرك منه تجلى روح الشاعر لإبراز محبة الرسول عليه السلام ، ومحبة شرعه المحكم
وما اشتمل عليه من أخلاق فاضلة !

٣ - وهذا نوع آخر من الافتتان السعري ، والفيض الشعرى الذى يبهرك
نوره ، ويفوح من بين ثناياه عبيره ! يحيى به النبى عليه السلام ، ويمتدح شريعته
وأصحابه . قال من همزته النبوية :

يا خير من جاء الوجود تحية
بيت النبيين الذى لا يلتقى
خير الأبوة حازم لك آدم
هم أدركوا عز النبوة واتته
خلقت لبيتك وهو مخلوق لها
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
إلا الخنائف فيه والخنفاء^(٣)
دون الأنام وأحرزت حواء
فيها إليك العزة القصاء^(٤)
إن العظام كفؤها العظام

(١) ضاعت راتحة الدك : تحركت ، ويثرب مدينة الرسول عليه السلام ، والأرجاء
النواحي مفردها رجا بوزن سبب .

(٢) الصارم : السيف ، الماضى القاطع ، وفراق السيف : فراقه .

(٣) الخنائف : الظاهرات ، والخنفاء : الذين هم على ملة إبراهيم عليه السلام .

(٤) الحمينة الناجية .

بك بشر الله السماء فزُيِّفت
وبدا عجبك الذي قسّماته
وعليه من نور النبوة رونق
أثنى المسيح عليه خلف سمانه
يوم يقبّه على الزمان صباحه،
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
والنار خاوية الجوانب بينهم
والآي تزي والخوارق جمّة
نعم القيم بدت مخايل فضله
في المهد يستقى الحيا برجائه
وتضوعت مسكاً بك الغبراء^(١)
حق وغرته هدى وحياء^(٢)
ومن الخليل وهديه سماء
وتهللت واهتزت العذراء^(٣)
ومساؤه بمحمد وضاء
وعلت على تيجانهم أصداء
نمّدت ذوائبها وغاض الماء
جبريل رواح بها غداً
واليتم رزق بعضه وذكاء
وبقصده تستدفع البؤساء

لعلك أيها القارىء، وقد وصلت إلى هنا، تحس باستنشاق نسائم معطرة
بريّا مدح محمد صلى الله عليه وسلم في صغره، وأن الله اختاره من أشرف الرجال
وأطهر الأممات، وأن أمارات النبوة قد بدت عليه وهو طفل يقيم، إلى غير
هذا مما تبينته في تفحات أمير الشعراء العطرة !
وهذا روض آخر من الشعر يتعطر الكون كله بشذاه، وتسمع الدنيا كلها
نغماته الساحرة، التي تهتز لها أوتار القلوب، وتحن إلى سماعها النفوس. قال
يصف أخلاقه عليه الصلاة والسلام :

بسوى الأمانة في الصّبا والصدق لم
يامن له الأخلاق ما تهوى العلا
زانتك في الخلق العظيم شمائل
أما الجمال فأنت شمس سمائه
يعرفه أهل الصدق والأمان
منها وما يتعشق الكبراء
يغرى بهنّ ونبوات الكرماء
وملاحه الصديق منك أيا^(٤)

(١) الأرض .

(٢) ما بين الوجنتين والانف .

(٣) مريم أم المسيح عليه السلام .

(٤) الأيا : نور الشمس وبعثتها .

والحسن من كرم الوجوه، وخيره
 وإذا سخوت بلغت بالجود المدى
 وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
 وإذا غضبت فإنما هي غضبة
 وإذا رضيت فذاك في مرضاته
 وإذا خطبت فللمنابر هزة
 وتعدت حليمك للسفيه مدارياً
 ما أوتى الفؤاد والزعماء
 وفعلت مالا تفعل الأنواء (١)
 لا يستهين بعفوك الجلاء
 في الحق لا ضغن ولا بغضاء
 ورضى الكثير تحلّم ورياء
 تغرو الندى والقلوب بكاء (٢)
 حتى يضيق بعرضك السفهاء

ثم انقل - عفا الله عنه - يصف منزله عليه السلام في العلم ، ويذكر
 معجزته الخالدة ، وشريعته الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، فقال :

يأتها الأئمة حسبك رتبة
 الذكر آية ربك الكبرى التي
 نُسخت به التوراة وهي وصية
 بك يا ابن عبد الله قامت سمعة
 بنيت على التوحيد وهي حقيقة
 ومشى على وجه الزمان بنورها
 لما دعوت الناس لبي عاقل
 أبوا الخروج إليك من أوهامهم
 ومن العقول جداول وجلامد
 في العلم أن دانت بك العلماء
 فيها لبغى المعجزات غناء
 وتختلف الإنجيل وهو ذكاء
 بالحق من ملل الهدى غراء
 نادى بها سُقراط والقُدماء
 كُتبتان وادى النيل والعُرفاء !
 وأصمّ منسك الجاهلين نداء
 والناس في أوهامهم سُجّناء !
 ومن النفوس حرائر وإماء !

ثم وجه شاعرنا الخطاب إلى رسول الله ، متخلصاً إلى وصف حال المسلمين ،
 فقال :

(١) الأنواء جمع نوء ، وهو النجم الساطع أو الطالع . وكانت العرب تزعم أن الأمطار
 والرياح والحر والبرد من فعلها .
 (٢) الندى لغة في النادي .

أدعوك عن قومي الضعاف لازمة
أدري رسول الله أن نفوسهم
متفككون فما تضم نفوسهم
رقدوا وغرهم نعيم باطل
ظلموا شريعتك التي نلنا بها
مشت الحضارة في سناها واهتدى
صلى عليك الله ما يحب الدجى
في مثلها يلقى عليك رجاء
ركبت هواها والحبوب هواه
ثقة ولا جمع القلوب صفاء
ونعيم قوم في القيود بلاء
مالم تمل في رومة الفقهاء
في الدين والدنيا بها السعداء
حاد وحنت بالفلا وجناء (١)

هذه قطع من همزية أمير الشعراء في مدح الرسول . وهي ترينا ما يكتنه صدر هذا الشاعر من حب سيد الأنبياء . والإشادة بالدين الذي جاء به . والقطعة الأخيرة تنعش على الأمة الإسلامية موقفها من الشريعة . وتهيب بها أن تذهب بعد الخول ، وأن تستيقظ بعد طول الرقاد .

فهل آن للمسلمين والعرب أن يستجيبوا لداعى الوطنية . فيتحللوا من قيود الاستعباد ، ومن قيود الأهواء ؟ لعل هذا يكون قريباً : ولا سيما أنهم قد رأوا بأعينهم . وسمعوا بأذانهم ما حل بفلسطين . المجاهدة . ولا أقول . الشهيدة . لأنها تجاهد الآن وتستبسل في سبيل حريتها ، وستنصر على جميع أعدائها بإذن الله : والله مع الصابرين !

أيها القارئ الكريم ! أرى أن أقصر في هذه المناسبة على ما سقته إليك من شعر شوقي في مديح المصطفى : وهو قطرة من بحر مما جادت به قريحته الرقادة في هذا المقام . وسأعود إلى إتمام الحديث في فرصة أخرى ، إن شاء الله .

نظرية الارتكاب بالترك في الشريعة الإسلامية وفي القانون المقارن

محاضرة الأستاذ المحترم الدكتور أحمد محمد إبراهيم

من وكلاء النيابة العمومية

اعتماد عامة الناس سماع القول بأن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتفق مع ما وصل إليه العقل الإنساني في تطوره ، وما ابتدعه من نظريات قانونية ليس لها وجود في فقه الشريعة . ومن المولم أن تكرار هذا القول أثر في تفكير كثير من المسلمين . فتراهم يرددونه في بساطة ، وكأنه قاعدة لا تحمل جدلاً أو نقاشاً ، لكثرة ما ألفوه .

ولست أقصد الآن أن أناقش هذه الفكرة : ولكنني أريد أن أضع أمام المسلمين وغيرهم بعض ما جاء في كتب الشريعة الغراء عن نظرية "الارتكاب بالترك" التي ينسب فضل القول بها إلى علماء ألمانيا ، والتي اعتبرت مجداً قانونياً لهم . وسيرى المطلع على هذا البحث أن فقهاء الشريعة الغراء - رحمهم الله - قد عرفوا هذه النظرية قبل أن يعرف عنها العلماء الألمان شيئاً بقرون .

وقبل أن نبين معنى هذه النظرية يجب أن نذكر أولاً أن علماء القانون يقسمون الجرائم إلى جرائم إيجابية وأخرى سلبية . ويقصد بالجريمة الإيجابية الجريمة التي تتكون من القيام بعمل مادي . أما الجريمة السلبية فهي التي تتكون من مجرد الامتناع عن القيام بواجب يفرضه القانون : وبمعنى آخر الجريمة الإيجابية هي ارتكاب ما نهى عنه القانون : والجريمة السلبية هي الامتناع عن القيام بما أمر به القانون .

والجرائم الإيجابية هي الغالبة في القانون : ومن أمثلتها القتل والحريق والسرقة : فالقتل لا يحدث إلا إذا أطلق الجاني عياراً نارياً على المجنى عليه فأرداه قتيلاً : والحريق لا يتم إلا بعد وضع النار في المكان المراد حرقه : والسرقة لا تحصل إلا باختلاس مال الغير . ومن أمثلة الجرائم السلبية امتناع القاضي عن الحكم في الدعوى ، وامتناع الشاهد عن أداء الشهادة .

ولا يوجد أى خلاف في أى دولة من الدول على معاقبة من يرتكب جريمة من الجرائم السلبية أو الجرائم الإيجابية مادام القانون يعاقب عليها . ولكن الخلاف على أشده حول العقاب على ارتكاب جريمة إيجابية بطريق سلبى .

هل يعد قاتلاً من يجد آخر على وشك الغرق فيمتنع عن أن يمد له يد المساعدة قاصداً قتله ؟ وهل تعد قاتلة الأم التى تمتنع عن إرضاع طفلها ، أو عن ربط الحبل السرى له حتى يقضى نحبه ؟ هل يعد حارقاً من رأى النار مشتعلة في منزل وكان في إمكانه أن يطفئها ، فتركها لتلتهم المنزل ؟

مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية

هذا الموضوع الذى اختلف على حكمه العلماء هو ما أسموه : ، الارتكاب بالترك أو العمل بالإمتناع Commission Por Ommission وهذا البحث لا يدور عادة إلا عند الكلام على جريمة القتل لمعرفة هل من الممكن أن يعد قاتلاً من يرتكبها بطريق سلبى أم لا ؟ والسبب الجوهري للخلاف هو عدم وجود نصوص صريحة في قوانين العقوبات تبين حكم هذه الحالة . ونذكر الآن حكمها في بعض القوانين الوضعية ، ثم نذكر بعد ذلك ما قال به فقهاء الشريعة الغراء في هذا الصدد .

إذا رجعنا الى القانون الرومانى ، وجدنا أنه يعتبر قاتلاً من يترك طفلاً حديث العهد بالولادة بدون طعام حتى يموت . وكان القانون الكنسى يعاقب بعقوبة جريمة القتل من يرى شخصاً معرضاً لخطر داهم ويبقى ساكناً مع قدرته على خلاصه . وقد لخص ، لوازل ، القاعدة القانونية في هذا الموضوع بقوله ، من يقدر ويمتنع بخطئه ، . ورغم هذا فكان رأى السائد في فرنسا في ذلك الوقت يخالف هذه القاعدة .

ويرى العلماء الألمان - وبأهم تقضى المحاكم - أن الممتنع يعاقب كقاتل إذا كان عليه واجب قانوني أو تعاقدى نحو المجنى عليه ولم يتم بهذا الواجب قاصدا قتله . فالأم التي تمتنع عن إرضاع ابنها حتى يموت تعد قاتلة : والشخص المكلف برعاية أعمى ويراه سائرا نحو بئر فيتركه يهوى فيه دون أن ينبهه إلى الخطر ، يعد قاتلا متى كان قد ابتغى من وراء عدم قيامه بواجبه قتل المجنى عليه . وحجتهم في قولهم بالعقاب هي أن الامتناع مظهر من مظاهر الإرادة ، والقانون يعاقب على النية الجنائية : فمتى اتوى شخص قتل آخر فانه يعد قاتلا . ولا قيمة للطريقة التي توصل بها لقتل المجنى عليه .

وهم يقررون في نفس الوقت أنه إذا لم يكن على الممتنع واجب قانوني أو تعاقدى فلا عقاب عليه : فمن يمتنع عن أن يمد آخر بالمساعدة أو الإحسان إليه لا يمكن أن يسأل عن النتيجة التي تترتب على امتناعه : لأن القانون لا يتطلب من الناس أن يكونوا محسنين ذوي مروءة ؛ وعلى هذا فلا يعد قاتلا من يرى جاره على سطح منزله والنار مشتعلة فيه ، فيمتنع عن أن يعطيه سلماً ينزل به إلى الأرض ، وهو يقصد من وراء ذلك موته حرقاً .

وقد نص القانون الإيطالي على العقاب على ارتكاب جريمة بطريق الترك ، فهو يقضى بأن من لا يمنع حادثة يوجب القانون عليه منعها ، يتساوى بمرتكبها . وهو في هذا يتفق والنظرية الألمانية ، ولكنه قد توسع في العقاب ، فنص أيضاً على عقاب من يمتنع عن القيام بواجب تمليه الإنسانية ؛ ولكنه جعل هذا الامتناع جريمة خاصة ، إذ لا يعد الممتنع مرتكباً للجريمة الأصلية ، فهو يعاقب بالحبس ثلاثة أشهر وبغرامة قدرها ٣٠٠٠ ليرة من يترك بدون مساعدة طفلاً أو مجنوناً أو شخصاً في خطر ؛ وأجاز مضاعفة العقوبة في حالة الوفاة .

والقانون الإنجليزي لا يفرق بين القتل بالارتكاب والقتل بالترك . فالذي يكون متكفلاً بطفل ويمنع عنه الطعام إلى أن يموت جوعاً ، مع أن في استطاعته إطعامه ، يعاقب بعقوبة القتل العمد .

وعلى العكس مما تقدم ذهب الفقه والقضاء في فرنسا إلى عدم جواز العقاب

على ارتكاب جريمة إيجابية بطريق سلبى ؛ لأن العدم لا ينشئ إلا العدم . والممتنع لم يتم بعمل ما ، فكيف ترتب على امتناعه نتيجة إيجابية ؛ وهذه الحجة ليست إلا سفسطة ، فليس هناك عدم أنتج عدما ؛ وإنما يوجد إعمال الإرادة على وجه معين . والشخص كما تتجه إرادته إلى العمل تتجه إلى الامتناع . وكل من العمل والامتناع لا يعد عدما .

وقالوا إنه يشترط لوجود جريمة القتل أن تكون هناك صلة سببية بين فعل الجاني والنتيجة التى حدثت . وهذه الرابطة لا وجود لها فى حالة الارتكاب بالترك . فمن يرى آخر مشرفا على الغرق ولا يساعده على النجاة بإلقاء حلقة النجاة إليه ، لا يعد قاتلا له . لأنه مات بسبب الغرق ، وليس سبب موته عدم إلقاء الحلقة إليه . وهذه الحجة بدورها لا تقوم على أساس . فعلاقة السببية قائمة وموجودة ، إذ لو لا الامتناع عن إلقاء حلقة النجاة إليه لنجا من الغرق . فسبب موته مرتبط أشد الارتباط بعدم استطاعته النجاة ؛ وثم صلة قوية بين عدم المساعدة وعدم النجاة . يمكن القول معها بوجود علاقة السببية بين الامتناع وبين النتيجة التى حدثت . وسنعرض مرة أخرى لهذه الحجة فى نهاية البحث .

ويستدلون - فضلا عما تقدم - إلى حجة أخرى مستمدة من حالة التشريع الفرنسى . فقد صدر فى سنة ١٨٩٨ قانون يعاقب بعقوبة القتل من يمتنع عمداً عن تغذية صبي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره بقصد قتله فيموت . وفى صدور هذا التشريع ما يدل على أن النصوص العامة لا تجيز القول بالعقاب فى مثل هذه الحالة . وإلا لما كان هناك ما يدعو إلى إصدار هذا القانون . وقد قضت المحاكم الفرنسية بأنه لا يجوز التوسع فى تفسير هذا القانون ، فلم تطبقه على من يمتنع عن تغذية مجنون أو مريض أو عاجز .

وقد اختلف شراح القانون المصرى فى هذا الصدد : فمنهم من قال بوجود العقاب فى حالة وجود واجب قانونى على الممتنع . ولم يتم به . كحالة الأم التى تمتنع عن إرضاع طفلها حتى يموت ، أو لا تربط له الحبل السرى قاصدة قتله ،

والمعرضة التي تمتنع عمداً عن إعطاء الدواء للمريض ، والشخص الذي يحبس آخر
ويتركه حتى يموت جوعاً .

ومنهم من رأى عدم العقاب : وحجتهم في ذلك أن نصوص التشريع القائم
لا تساعد على القول بالعقاب .

وهذا الخلاف بين الفقهاء تبعه خلاف بمائل بين المحاكم المصرية ، ففضى
بالبراءة في قضية أم اتهمت بقتل طفلها ، بتركه عقب الوضع حتى مات ، لعدم
صدور عمل إجباري يؤخذ منه تعدد القتل . كما قرر قاضي الإحالة في محكمة الميا
في قضية أم اتهمت بقتل ابنها الحديث الولادة عمداً ، بالامتناع عن ربط الحبل
الشري . بأنها لا تسأل عن جريمة القتل العمد ، واعتبرها مرتكبة لجريمة القتل
الخطأ : وأخذ بما ذهب إليه العلماء الفرنسيون من أن مثل هذا الفعل لا يمكن
العقاب عليه باعتباره قتلًا عمداً إلا بتشريع خاص ، لأنه لا يمكن أن يندرج تحت
حكم النص العام للقتل عمداً . وعلى خلاف ما تقدم قضت إحدى المحاكم بالعقاب
في قضية شخص اتهم بتهديد زراعه قطن بحجوز عليها ، بأن لم يطلب ضم محصولها
وتركه على الأشجار حتى ذرته الرياح . وظهر أن المحكمة اعتبرت الجاني مسؤولاً
عن ارتكاب الجريمة بالترك ، كمسؤوليته عن ارتكابها بالفعل .

ولا يفوتنا أن نذكر أن أغلب الفقهاء الذين لا يقولون بالعقاب في حالة
ارتكاب جريمة بالترك ، يعلمون رأيهم بأنهم يفسرون نصوص القانون المعمول
بها وهي لا تساعد على القول بالعقاب ، ويقررون بأنه لا يوجد ما يمنع المشرع
من أن يصدر قانوناً خاصاً بمقاب على الارتكاب بالترك في الحالات الخطيرة .

نكلام بقية

بين العطار والخشاب

من أدباء القرن التاسع عشر

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية

ومضى شيخ الإسلام العطار ، في بيته الثاني وقفله الثالث ، في مداره الذي
تخيره ، وعلى سننه الذي انتهج : فقال :

فتش فؤادي فليس فيه سوى
شخصك يا بهاء الملبع ثوى
قد ضلّ قلبي لتكثيره وغوى

ومكدا من حبة معذلا
لم يلق إلا تأثفا وقلا — مشرب —

ومضى الشاعر الخشاب كذلك في بيته الثاني ، وقفله الثالث ، يفيض
في تعداد شمائل الحبيب ، وينعم في ذكر أوصافه ، لينتهي من ذلك إلى الإصرار
الذي لا يخامره تحول ولا انتقال ، على هوى ذلك الحبيب : فقال :

وَصَاحَ نَوْرُ الْجَبِينِ أَبْلَجَهُ
وَرَدَى خَدَّيْ زَهَا (كَذَا) تَوَهَّجَهُ
إِلَيْهِ شَوْقِي يَزِيدُ لَا عِجَّهُ

فلست أصنى لعاذل عذلا
وعنه — ولله — لا أتوب ولا — أرغب —

ثم عرض بعد ذلك لتباريح الهوى ، ولواعج العصابة ، التي تعصف به ،
فقال :

فقطع قلبي بحبه إربا (كذا)
وصدّ عني فلم أنل إربا
أواء أواء منه ، واحربا !

أصل فؤادي بحبه : وقتلا
وذبت وجدا به : ولي قتلا : — فاعجب —

ولئن مضى الأسلوبان كلاهما على ما رسمنا في حديثنا الماضي ، من أن الأول
أسلوبٌ ، فقيه ، ، والثاني أسلوبٌ ، شاعر ، ، لقد كانت ، زها ، في قول
الحشّاب : ، ورديّ خدرها توهج ، : وكلمة ، إربا ، في قوله : ، قطع قلبي
بحبه إربا ، غير واقعتين موقعهما في الاستعمال الصحيح ؛ ذلك بأن الانسب
بالتوهج ، وهو حرارة الشمس والنار ، هو ذكا ، لا زها ، ؛ فإن الذكاء ،
بالماء والقصر ، شدة وهج النار . ولأن ، إربا ، هنا بمعنى ، عضوا ، يقال :
، قطعت إربا إربا ، أى عضوا عضوا ؛ وهى بهذا المعنى إنما تكون بكسر
الهمزة وسكون الراء ؛ ويتسكينها يذهب الجنس الذي حمله على هذا الاستعمال
العامى . على أن العذر أمام الشاعر ، مهد ، من التطبيع ، ومن تحريف النسخ ، ومن
الضرورة التي لا تخدش قوة الأسلوب .

فأما المعاني ، وعمل الخيال في تصويرها وجلوتها ؛ فإن شيخنا العطار ،
قد يتناول : ، تفرد الحبيب بسكنى قلب المحب ، وهو معنى من معاني العامة
المشتركة التي لا يتميز فيها شاعر عن شاعر ، إلا بروعة التصوير وجمال العرض ؛
فوضع في صورة شوهاء مشوشة ، فيها حشو ، وفيها إحالة ، وفيها عامية ؛ وأكبر
الغلن عندي أنه أراد أن يحارى إبراهيم بن سهل الأسرائيلي ، في مطلع موشحته :

هل درى ظلى الحما أن قد حمى قلب صب حته عن مكئس ؟
ولكن ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ . ومهما يكن من شيء . فإننا نستطيع
أن نقول فى كثير من الشجاعة : إن مولانا الشيخ لم يقصد إلى معنى ، وإنما قصد
إلى هيكल من النظم ، فاستفاد له ذلك على ما اتفق ، لا على ما أريد . وإن أبيت
هذا الاجمال على عمومه ، فإنى أشير لك إلى قوله : . يأبها الملبح . فهل تراها
مليحة ، ؟ . وقوله : . قد ضل قلبى لسنه وغوى . . وإذا عرفت أن . السكن ،
بضم السين مشددة وسكون الكاف ، هو أن 'تسكن' إنسانا منزلا بلا كراه ، فهل
ترى ضلاله وغيه لأنه أسكنه : . أولانه أسكنه بلا أجره ؟ ! ثم متى كان الاعتمادان
سيا فى التأسف والقللا ، إلا إذا كان المحب أعوج ملتويا ؟ !

وإذا شئت أن ترى المعنى المراد الذى سخر له اللفظ تسخيرا ، وذلله تذليلا .
فاقرأ معى قول شاعرنا الخشاب : . قطع قلبى بحبه اربا . وصدعنى فلم أقل أربا ،
أواه أواه منه واحربا . : حب طاغ ذهب بالقلب شعاعا . يقابل الصدود والإعراض
القاطع ، أليس صاحبه حريا بأنه يدعو بالويل والخراب . وأن يبسط قضيته لماس .
فى هذا التقابل البليغ الأخاذ :

أصلى فؤادى بحبه ،  وقتلا .

وذبت وجداه : ولى قلا : — فاعجب —

علمهم يواسونه ، أو يسلونه ، أو يتوجعون لبواد ! ثم أليس من أعجب العجب ،
أن يقلاك من يحترق فؤادك بحبه ، وأن يقلك من تذوب وجداه فيه ؟ ! والظن
موضع . فاعجب ، هنا ، مع موضعها فى القفل الأول لمولانا الشيخ الأكبر ،
تر الفرق بين الطبع والتطبع ، أو بعبارة فنية : بين التكلف والطبع . قال الشيخ
رحمه الله :

أما فؤادى فعنك ما انتقلا فلم تخيرت فى الهوى بدلا — فاعجب —

ثم إذا هفت بك الفتوة بما سمعت ، فمت إلى أن تشرب وأن تمس
من طرب معى ، فاقرأ قول الخشاب بعد ذلك :

مولاي رفقا بصيك الدنف
قد كدت أقضى عليك من أسف

تلا في رويحي فقد دنا تلقى

من ريمك العذب ، أروني نهلا

وهات كأسى ، وطف به ثملا - واشرب - !

واحا ، سناها يضى كاللهب

تبسم عن رطب لؤلؤ الحب

بين رياض ومسمع غزلا على المثنى إذا شدا رملا - أطرب - !

فان فيه نفحة من نفحات الشاعرية ، في عصورها الذهبية ، تضع الخشاب موضع الطليعة من شعراء النهضة ، وتبوئه من زعامتها المقام المحمود .

على أننا - إذا انحدرنا بطنقة شيخنا العطار ، عن مستوى طبقة شاعرنا الخشاب - لا نجد محيضا عن عده في الرعيل الأول من شعراء النهضة ، بما له من أشعار فيها قوة ، وفيها جمال .



ثم أما بعد ، فان الظاهرة التي تلحظها في طلائع النهضة الحديثة من الشعراء ، تقليد المصاق للمقدمين في أوزان الشعر وقوافيه ، قد عينا ومحدثا ، فلا ترى شاعرا اخترع وزنا ، أو قافية ، أو فنا من فنون الشعر ، لم يعرفه المتقدمون ؛ ومضى الأمر على ذلك حتى عصر ازدهار النهضة ، وبلغوها أوج رفعتها ، أيام البارودي وصبري وشوقي وحافظ ، إذا استثنينا : مال واحتجب ، التي خرق بها ، الأمير ، خرقا في الاسلام ، و : ذات القوافي ، للسيد توفيق البكري ؛ فإذا أخذنا نتحدث عن القمة ، طرق أذنك هنا وهناك دعوة حييية الى القافية المطلقة ، تتعالى حينها ، ثم تخفت ، ثم تخفى ؛ حتى إذا شاخت ، النهضة ، وهرم الشعر ، دهمك سبيل أتى من الأوزان ، ومن القوافي . وبما تعرف ، وبما لا تعرف ، مما هو على صورة الشعر ، فاشتبهت الأعلام ، واضطربت السبل ، وحرار الدليل ، ومرد هذه الفوضى الغامرة الداجية ، التي ليس لحابطها فجر ، أن محدثي المجددين فهموا أن التجديد يتبع الهوى الخاص ، وأن لكل شاعر أن يحدد على حسب

هواه ، وأن يضرب في الأوزان والقوافي على غير هدى أو على هدى مادام دليله مزاجه ، وميزانه ذوقه ومشاعره ؛ والأذواق والمشاعر غير محدودة ولا مضبوطة ، فليكن الشعر غير مضبوط ولا محدود .

إن العرب لما دعت حاجتهم إلى التجديد في أوزان الشعر ، اخترعوا - في ظروف وأحوال مختلفة - فنونا ، حصرها النقاد في « سبعة » وهي : الدوييت ، والسلسلة ، والموشح ، وثلاثها معربة ؛ وإنما يسوغ اللحن في « الخرجة » في الأخير منها ، بشروط شديدة . والزجل ، والكان وكان ، والقوما ؛ وثلاثها ملحونة . والموالى ، ويكون ملحونا ومعربا .

ولما دعت حاجتهم إلى التجديد في القافية ، اخترعوا : المزدوج . والمسطر . والمسط . ولكل واحد من هذه المبتكرات جميعا ، ضابط يحدده ويرشد إليه . ويميزه عن كل ماعداء ؛ وهذه الضوابط وشواهدا وأوزانها وما يعرض لها من التغيرات ، والمثل الموضحة لكل أولئك ، منصوصة باستيفاء بالغ . في كتب العروض وفي كتب الأدب ، مما يجعل تعرضنا لها هنا من لغو الحديث .

فهل درج مجددو العصر الحاضر على هذا اللون في فنون تجديدهم ؟ كلا !

الاستاذ على محمود طه ، شاعر في الرعيل الأول من شعراء مصر في هذا العصر : ومقطوعته ، الجندول ، قطعة فنية رائعة في ذاتها . ثم بما أضفاه عليها اسحق مغنى العصر ، عيد الوهاب ، من مزاميره الداودية : هذه المقطوعة ، قد التزم فيها شاعرها بيتا واحدا ، يكرر بعد كل مجموعة من أبياتها ، فيذكرنا بما عرفناه في حدائتنا من طريقة إنشاد ، البردة ، . إذ يردد بعد كل بيت فيها « مولاي صل وسلم دائما أبدا ، الخ . فهل أغنية الجندول « موشحة » ؟ إنها لا تنطبق على ضابط الموشح كما حدده مخترعوه . هل هي « حمل زجل » ؟ لا ، إنها معربة والزجل ملحون !

وهذا الاستاذ الشاعر الجليل : أنور العطار من كبار شعراء الشقيقة ، سوريا ، يقول في : « أغنية ... » بشرتها له الرسالة الغراء في العدد : ٧٥١ .

إن تراميت لي خيالا وظننا رقص القلب فرحة وثنى

واحتواني حلم رقيق حبيب
لمننى المسوى الذى أتمنى
والنشيد العذب الذى أتغنى

ثم يعود فيقول :

واذا رفرفت عليك شجونى وهما خاطرى ، وهما حنينى
فاسألى الليل أن يرق لحالى فهو مثل هيامى جم الفتون
شاعر خبير الرؤى والفنون الخ الخ

أعود فأقول : إن هذا ليس نسجا قديما ، وليس موشعا ، وليس زجلا الخ .
فهل لهذا من ضابط محدد أتهدى به عند الفسج على منواله ؟ .

وهذا صديقى الكريم الأستاذ محمود الحفيف ، وأوزانه وقوافيه وأعاريفه
وأضرابه ، شئ لا يناله الحصر ، ولا يحصيه العد ؛ وهذا الثالث المقدس ، يمثل
الكثرة الغامرة من شعراء العصر المجددين : فلا داعى للأطالة بذكر غيرهم .

إتنى — على الرغم من رجعتى — لا أبغض التجديد ، ولا أنى على المجددين ،
ولا أبط من همهم : وإنما أريد أن يكون للتجديد حدود نعيته ، ورسوم تضبطه ،
وعلامات ترشد إليه ، حتى يعم ، وينفع ، ويعيش . فأما التجديد المرادف للقوضى
فلا يُبعد الله غيره .

كلمات بليغة

كتب عمر بن العزيز : إلى رجاء بن حيوة : أما بعد فإنه من أكثر من ذكر
الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا فيما ينفعه .

وكتب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة : أما بعد ، فقد
أصبحت أميرا ، تقول فيسمع لك ، وتأمر فينفذ أمرك ، فيألفا نعمة إن لم ترفعك
فوق قدرك وتطغى على من دونك ، فاحترس من النعمة أشد من المصيبة ،
وإياك أن تسقط سقطة لا شوى لها ، وتمثر عثرة لا لعالمها . (أى لا إقالة) .

مناسبة شهر الذكريات المحمّدية :

تحقيقات علمية في وقت المولد والهجرة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين
المدرس بكلية الشريعة

من أحفل الشهور العربية بالذكريات المحمّدية ، شهر ربيع الأول : فهو الشهر الذي اتفقت كلمة من يؤخذ بصحة آرائهم ، ويركن إلى أقوالهم ، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولد فيه : وهو الشهر الذي تدل الروايات التاريخية الصادقة ، والأحاديث النبوية الصحاح ، على أنه في العاشر منه — من العام الخامس والعشرين من ميلاده عليه السلام — قد تزوج بالسيدة خديجة بنت خويلد . وعلى أن خروجه من الغار في طريقه إلى المدينة كان فيه ، وأن دخوله قباه والمدينة كان فيه ، وأن إقامة أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم ، كانت فيه أيضاً .

وهذه كلها كما ترى ذكريات عزيزة ، وحادثات مجيدة ، وقد أحبت — بمناسبة حلول شهرها العظيم — أن نكتب ما تيسر لنا الوصول إليه من تحقيقات علمية وتاريخية عن تحديد أوقات مولده صلى الله عليه وسلم وهجرته ، تصحيحاً للأخطاء الشائعة عنها ، والموجودة في أذهان بعض الناس ، والمعمول بها في بعض المناسبات ، وتقريراً للحقائق في ذاتها ، وإيضاحاً للبحوث الموضوعية الملبّية ، على المقالات الإنشائية السطحية التي تكتب عادة في مثل هذا الصدد .

المشهور عند الجمهور من العشاء أن ولادته عليه الصلاة والسلام ، كانت ليلاً حين طلوع الفجر في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول : والخلاف بعد ذلك في تعيين هذه الليلة ، ف قيل : إنه ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول : وقيل : لثان خلون منه : وقيل : لعشر خلون منه : وقيل : لثنتي عشرة خلت منه : نص عليه ابن اسحاق ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم . وهناك روايات أخرى تقول : إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان ، ولكن هذه الروايات قد وصفها المحققون بأنها غريبة جداً ، وبأنها محل نظر . وإننا إذا استبعدنا هذه الروايات ، لضعفها ، ولعدم التعويل عليها ، فإنه لا يبقى معنا بعد ذلك إلا قول الجمهور بولادته صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، إلا أننا مع هذا لا نرى بين ما ذهب إليه الجمهور من الأقوال رواية قاطعة عن تعيين يوم ولادته من هذا الشهر . ولذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى سوق شيء من النقول المعتمدة التي نأخذها عن بعض المصادر العربية والأجنبية الوثيقة ، للمقارنة بينها ، وللوصول منها إلى ذكر الرأي القاطع في تعيين يوم ولادته عليه الصلاة والسلام .

نقل أصحاب الحديث عن قتادة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين ، فقال : ذلك يوم ولدت فيه . . .

وذكر ابن بكار والحافظ ابن عساكر : أن ذلك كان حين طلوع الفجر . ويدل له قول جده عبد المطلب : ولد لي الليلة مع الصبح مولود .

وعن سعيد بن المسيب : أنه صلى الله عليه وسلم ولد عند إهراق النهار - أي وسطه - وكان ذلك اليوم لمضى ثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول : وحكي الإجماع عليه ، وعليه العمل الآن في الأمصار .

وقال الإمام شمس الدين المعروف بالخلال : قد صحح النبي عليه الصلاة والسلام ولد في شهر ربيع الأول في العشرين من نيسان عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان ، فلما أتت عليه أربعون سنة أو يوم ، بعثه الله ، فلما أتت له ثلاث

وخمسون سنة ، هاجر الى المدينة ، . ويقول المحققون من أصحاب التقاويم : إن شهر نيسان هذا يوافق دائما شهر إبريل ، فتكون ولادته صلى الله عليه وسلم في فصل الربيع .

وقال المسعودي في مروج الذهب : ، والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام أنه كان بعد قدوم أصحاب القيل مكة بخمسين يوما ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من عهد ذي القرنين ؛ وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم ، ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة الغدر ، ولست أربعين من ملك كسرى أنوشروان ، وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة ، .

وذكر ابن الأثير : أن كسرى حكم مدة سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وأنه عاش سبع سنين وثمانية أشهر بعد ولادته عليه الصلاة والسلام ، فيكون كسرى على هذا قد حكم أربعين سنة كاملة لعهد ولادته صلى الله عليه وسلم . وإذا علمنا أن كسرى جلس على العرش في سنة ٥٣١ ميلادية ، فتكون ولادته عليه الصلاة والسلام في سنة ٥٧١ ميلادية .

وذكر العلامة ، إيدلر ، في رسالة له في الكرونولوجيا الرياضية : أنه (صلى الله عليه وسلم) ولد في ٢٢ نيسان سنة ٨٨٢ من تاريخ الاسكندر ، كما نصره عليه ابن العميد بقوله : ولد (صلى الله عليه وسلم) ببطحاء مكة في الليلة المسفرة عن صباح يوم الاثنين ، لثمان خلون من ربيع الأول ، يوافق من شهور الروم الثاني والعشرون من نيسان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة للاسكندر ذي القرنين ، .

وقد عرفنا أن شهر نيسان السرياني ، يقابله شهر إبريل الافرنجى . فيكون مولده صلى الله عليه وسلم حيثئذ في ٢٢ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية .

وذكر المسيو ، سيلفستر دوماسى ، نقلا عن ، مقالات جمعية الطوائف والآداب ، أن ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت الساعة السادسة من ليلة الاثنين لعشرين من نيسان سنة ٨٨٢ للاسكندر ، وهو يوافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية .

وإننا نختتم هذه النقول المتفقة على أن الولادة كانت في شهر ربيع الأول ،
والمختلفة في تعيين وقت الولادة منه ، بما ذكره العلامة المرحوم محمود باشا
الفلكي - طيب الله ثراه - في كتابه : « تقويم العرب قبل الاسلام » ، الذي ألفه
باللغة الفرنسية ، وترجمه الى اللغة العربية أحمد زكي أفندي ، طبعة بولاق سنة ١٣٠٥
هجريه . فانه قد أتى فيه بعد استعراض أقوال الرواة والمؤرخين ، وتمحيص آراء
علماء الهيئة ، بما أقام الحجة ، وقطع المحجة ، وعين وقت الولادة بالضبط
والتحديد ، قال :

« ولا يسعى إلا الجزم بأن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في فصل الربيع
من سنة ٥٧١ مسيحية ، وحيث إن بمصر هذه الأقوال تصرح بأن شهر ابريل هو
شهر المولد النبوي الشريف ، والبعض الآخر يدل عليه ، فاني اعتبره شهر الولادة ،
وبقي علينا أن نبين في أي يوم من شهر ابريل كانت الولادة ؟ فنقول : إن الاجتماع
الحقيقي للقمر ، حصل في شهر ابريل سنة ٥٧١ في يوم ١١ الساعة ٩ والدقيقة ٤١
بعد نصف الليل على حساب الزمن الوسطي لمكة المشرقة ، ولم يمكن رؤية الهلال
بالعين المجردة إلا في مساء هذا اليوم ، وحيث يلزم أن الشهر القمري العربي كان
مبدؤه يوم الأحد ١٢ ابريل ، وقد قال الثقات : إن النبي صلى الله عليه وسلم
ولد في ٨ أو ١٠ أو ١٢ من شهر ربيع الأول . وقد اتفقوا جميعا على أن الولادة
كانت في يوم اثنين ، وحيث إنه لا يوجد بين الثامن والثاني عشر من هذا
الشهر يوم اثنين سوى اليوم التاسع منه . فلا يمكن قط أن يمتد يوم الولادة
خلاف هذا اليوم .

« ويتلخص من هذا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد في يوم الاثنين ٩
ربيع الأول ، الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية ، فاحرص على هذا التحقيق ،
ولا تكن أسير التقليد . اهـ .

٢ - وقت الهجرة :

يشتبه على كثير من الناس مبدأ التاريخ الهجري ووقت الهجرة ، فيحسبون ،
بل ويحزمون أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، كانت
في شهر المحرم ، بل وكانت في العاشر منه . والواقع أن الحقيقة تخالف هذا ، وأن

الوقت الذي جعلوه مبدأ للتاريخ الهجري غير الوقت الذي حصلت فيه الهجرة فعلا : وستعرف ذلك على التحقيق فيما سنبينه لك بعد . وسنسرده لك المراحل التاريخية مرتبة بحرارة مضبوطة . بعيدة عن زحمة الأقوال الكثيرة . والروايات المختلفة .

في شهر المحرم قبيل نهاية السنة الثالثة والخسين من عمره صلى الله عليه وسلم حصل العزم على الهجرة ، وأخذ النبي يدبر أمرها ، ويستعد لتنفيذها : وفي اليوم السابع والعشرين من شهر صفر الخير ، خرج النبي وأبو بكر من مكة ، ولجأ إلى الغار ، وبقي فيها ثلاث ليل : وفي فجر اليوم الأول من شهر ربيع الأول ، خرج النبي وصاحبه من الغار متوجهين لتقاء المدينة : وبعد ثمانية أيام قضياها في الطريق ، وصلا إلى دقياء ، ضحى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد ، و ١٠ تشرى عند اليهود ، سنة ٤٢٨٣ للهجرة ، وهو يوم عاشوراء عندهم . وإذا اعتبرنا أن يوم الوصول إلى دقياء ، هو يوم الوصول إلى المدينة - كما يراه معظم المحققين - فإن الثامن من شهر ربيع الأول ، يكون حينئذ موافقا للعشرين من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية . أما إذا اعتبرناه منفصلا عنه - كما يراه بعض الباحثين - فإنه يكون قد دخل المدينة عصر يوم الجمعة ليلة السبت في اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الأول : وذلك أنه لما وصل إلى دقياء ، نزل ضيفا عند بني عمرو بن عوف ثلاثة أيام ولياليها : وفي ضحى يوم الخميس الثاني عشر من ربيع أقام مسجد ، قباء ، : وفي صبيحة يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع ، توجه إلى المدينة ، وفي طريقها نزل عند بني سالم ، وصلى الجمعة هناك ، ثم دخلها في عصر اليوم نفسه .

فمن نرى من كل هذه المراحل المتتابعة أن الهجرة الفعلية إنما وقعت في غير شهر المحرم ، وأنها بداية ونهاية - إذا اعتبرنا مبدأها الخروج من الغار - قد تمت في شهر ربيع الأول ، فلا محل إذن لما فهم بعض العلماء من أن الهجرة كانت في شهر المحرم .

وبإليك شيئا من الأسانيد الصحيحة التي تؤيد ما ذكرناه ، وتميط لك اللثام

عن جعل المحرم مبدأ السنة الهجرية :

ذكر الإمام السيوطي في كتابه ، التاريخ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بالتاريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الأول . قال ابن عساكر : هذا أصوب .

وأخرج البخاري في صحيحه : ما عذوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا من متوفاه ، وإنما عذوا من مقدمه المدينة .

وفي سنن سعيد بن منصور عن ابن عباس ، قال في قوله تعالى : والفجر ، قال : الفجر شهر المحرم ، هو فجر السنة . أخرجه البيهقي في الشعب ، وإسناده حسن . قال شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر في أماليه : بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخير التاريخ من ربيع الأول إلى المحرم ، بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة ، وإنما كانت في ربيع الأول .

وقد يعقب على بعض هذه الأسانيد بأن ذكره السيوطي وابن عساكر من أمر النبي بالتاريخ ما يخالف المحفوظ المشهور من أن الأمر بالتاريخ هو عمر رضي الله عنه : فقد قال مصعب : ولما تشاور عمر مع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وقال : بأي شهر نبدأ ، فقصروا أول السنة ؟ قالوا : رجب ، فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه : وقال آخرون : الشهر الذي خرج فيه من مكة : وقال آخرون : الشهر الذي قدم فيه : فقال عثمان : أرخوا من المحرم ، أول السنة وهو شهر حرام أول الشهور في العدة . وهو منصرف الناس عن الحج ، فقصروا أول السنة المحرم ، وكان ذلك سنة سبع عشرة ، أو قال : ست عشرة في نصف ربيع الأول . وقد أجاب على هذا التعقيب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله في كتابه ، التحفة السنية في التواريخ العربية . - طبعة بولاق سنة ١٣١٥ هجرية فقال :

وقفت على ما يعضد الأول (ما ذكره السيوطي وابن عساكر) إذ رأيت بخط ابن القماح في مجموع له : قال ابن الصلاح : وقفت على كتاب في الشروط الأستاذ الزبادي ، ذكر فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب نصارى نجران ، وأمر علياً أن يكتب فيه أنه كتب لحسن من الهجرة . فالتورخ بالهجرة إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر تبعه في ذلك .

يبقى بعد ذلك كله ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة يوم عاشوراء ، فإذا اليهود صيام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ ، قالوا : هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون ، ونجى فيه موسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولى بموسى ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه .

وفى الحق أن ظاهر هذا الحديث يناقض ما نطقت به الروايات الصحيحة من أن الهجرة كانت فى شهر ربيع الأول ، على ما ذكرناه آنفا ، إذ لا يتفق أن الرسول حينما قدم المدينة وجدهم صائمين يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، أو هو اليوم التاسع منه ، كما يقول ابن عباس ، وأنه ما قدم المدينة إلا فى شهر ربيع الأول . ولقد حمل هذا التناقض كثيرا من العلماء على استشكل هذا الموضوع ، وعلى رواج كثير من الآوهام ، التى وقعت فيها الأفهام .

وقبل أن نشرع فى إيراد ما يدفع هذا التناقض ، يحسن بنا أن نعرف أن اليهود من العرب كانوا يسمون أيضا بعاشوراء اليوم العاشر من شهر تشرى ، وهو أول شهور سنتهم المدنية ، وسابع شهور سنتهم الدينية ، وتشرى عند اليهود شهر الاحفالات العظيمة ، والمحافل المقدسة : وأن نعرف أيضا أن السنة عند اليهود شمسية ، بخلافها عند العرب ، فإنها قرية : وأن يوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم ، واتفق فيه غرق فرعون ، لا ينفيد بكونه عاشر المحرم ، بل اتفق أنه فى زمن مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة ، كان وجود ذلك اليوم . قال البيرونى فى كتاب الآثار : وقد قيل : إن عاشوراء عبرانى معرب - يعنى عاشور - وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور ، وأنه اعتبر فى شهور العرب ، فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم ، كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود .

وإذا عرفت هذا فاسمع ما يرد به على هذا الإشكال العلامة الخافض ابن القيم فى كتابه ، زاد المعاد ، قال : وأما الإشكال الأول ، وهو أنه لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوم عاشوراء ، فليس فيه أنه يوم قدومه وجدهم يصومونه فإنه إنما قدم يوم الاثنين فى ربيع الأول ، ولكن أول علمه بذلك بوقوع القصة

ابن مضاء القرطبي

ورده على النحاة

لمفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار

المدرس بكلية اللغة العربية

ابن مضاء القرطبي من علماء العربية الأندلسيين . عاش في القرن السادس الهجري . واستظل بظل دولة الموحدين في الغرب ، وكان قاضي القضاة في دولتهم . وقد كان مما أهتمه أن يرده على النحاة ، ويخالفهم ، وينقض من أسسهم وأصولهم التي بنوا عليها نحوهم ، فألف في ذلك كتابا : وانبرى له بعض علماء الأندلس يرده عليه وينضح عن النحويين .

وما يُحمد للأستاذ الدكتور شوقي ضيف - من أساتذة الجامعة المصرية -

في اليوم الثاني الذي كان بعد قدومه المدينة ، ولم يكن وهو بمكة . هذا إن كان حساب أهل الكتاب في صومه بالأشهر الهلالية ، وإن كان بالشمسية زال الإشكال بالكلية . ويكون اليوم الذي نجي الله فيه موسى هو يوم عاشوراء من أول المحرم . فضبطه أهل الكتاب بالشهور الشمسية ، فوافق ذلك مقدم النبي المدينة في ربيع الأول ، وصوم أهل الكتاب إنما هو بحساب سير الشمس ، وصوم المسلمين إنما هو بالشهر الهلالي ، إلى أن يقول : « فظهر حكم هذه الأولوية في تعظيم هذا اليوم ، وفي تعيينه ، وهم أخطأوا تعيينه لدورانه في السنة الشمسية ... الخ » .

هذا ما تيسر لنا الوقوف عليه من التحقيق الدقيق في هذا العدد ، وقد أوردناه فيما تقدم بكل ما في طاقتنا من أمانة ودقة ، ونرجو أن نكون قد وفقنا فيما قصدنا ، والله المستعان .

أن عثر على كتاب ابن مضاء ، وذلكه للناس بطبعه في مظهر حسن : فكان له بذلك يد على المشتغلين بالنحو وعلوم العربية .

والكتاب لطيف ، عمد صاحبه إلى الإيجاز ، وتجنب الإسهاب ، والاقتصار على معاهد المقاصد . وللناشر مقدمة له بسط فيها الكلام على مقاصد الكتاب ، وزاد عليها آراء له على نحو ما فعل ابن مضاء في الانتفاض على النحاة ، وهضم قواعدهم ، وتأصيل قواعد جديدة في النحو . والمقدمة ضويلة تقع في مثل حجم الكتاب .

وقد أحببت أن أنظر في هذا الكتاب . وأدوت نظراتي فيه . وسأتناول بالبحث الكتاب من جهتين : نصوصه ومثله . وما فيه من فكر وآراء . وبعد هذا سأتناول مقدمة الناشر البعثة .

نظرة في متن كتاب (الرد على النحاة) ونصوصه

مركز تحقيق كتب التراث

وقع في الكتاب تهنات ، قد يرجع معظمها إلى سقم النسخة التي كانت أصلاً في الطبع ، وقد أحببت أن أثبت عليها : لأن بعضها قد يحسن المعنى ، ويوهن الأسلوب . وإني أجمل ملاحظاتي فيما يأتي :

١ - في ص ٨٢ وردت العبارة الآتية : « ومن أعرض عنه وأنف منه هلك هلاك العجماء في الفيء عند عدم الرعي والماء » وقد ضبط الرعي بفتح الراء ، وهو هكذا مصدر ، ولا ينتظم مع الماء . والذي يبدو أنه الرعي بكسر الراء ، وهو الكلاء والمرعى ، وبذلك يتناسب مع الماء .

٢ - وفي ص ٨٢ وردت العبارة الآتية : « ولعل قائل يقول : أيها الأندلسي المسرور بالأجراء في الخلاء ، المضاهي بنفسه الحنفي ذكاً وأى ذكاً .. » وقال الناشر في التعليق : « يريد بالحنفي - فيما يظهر - سيوييه » . وهو يعتمد في هذا على أن الحنفي معناه العالم ، وفي اللغة أنه العالم يتعلم باستقصاء ، وقد

لا يصدق هذا على سيبويه الذي بلغ الغاية في فنته ونحوه . ثم بعد هذا يبدو قوله
 « ذكاه وأى ذكاه ، قليلاً نايياً في الكلام . ويذكر الناشر في التعليق على قوله
 « بنفسه ، أن في الأصل « بفتنه » ، ويبدو لي أن هذا قد لا يكون بعيداً عن
 تصواب . كما يبدو لي أن الأصل هكذا : « المضاهاى بفتنه الخفى ذكاه وابن ذكاه »
 يريد أن فنته وعلمه خفى لم يبلغ مبلغ الاشتهار والوضوح ، وهو مع ذلك يبارى
 « ذكاه - وهى الشمس - ، وابن ذكاه - وهو الصبح .

٣ - وفي ص ٨٤ ورد النص هكذا : « أنزرى بنحوى العراق ، وفضل
 العراق على الآفاق ، كفضل الشمس في الأشراق » ، وفيه كما ترى ، نحوى العراق ،
 مفرداً ، وكأن الناشر يرى أن المؤلف يريد سيبويه : والعراق لا يكون له الفضل
 على الآفاق بنوع فرد فيه ، قد يكون نبوغه وبراعته قلته من الدهر ، وإنما
 يكون خليقاً بالفخر إذا كان موطناً للنبوغ ، منبأ للبراعة والتبريز ، ومثابة لأولى
 الفضل ، ويبدو لهذا أن الأصل : « أنزرى بنحوى العراق » : ليكون جمعا .

٤ - وفي ص ٨٥ ما يأتى : « فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض
 والجزم لا يكون إلا بعامل لفظى » . وأرى أن الأصل : لا تكون - بالتاء - :
 إذ كان هذا خبراً عن ثلاثة الوجوه من الإعراب : ولا تصح الصيغة بالتذكير
 إلا على تأويل أن المراد : لا يكون كل منها : وهذا تخريج بعيد .

٥ - وفي ص ٩٣ ورد النص الآتى عن الخصائص : « اعلم أن إجماع أهل
 البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يد أن لا تخالف - كذا ، والمألوف
 في الرسم ألا تخالف - المنصوص والمقيس على المنصوص » . وظاهر أن السياق

يقضى بأن يكون الأصل ألا يخالف ، أى إذا تكفل لك الخصم أن يوافق
 المنصوص ، والمقيس على المنصوص ، ولا يخالفه ، ولو بقى النص كما هو لكان
 المعنى أن الخصم يضمن ألا تخالف أنت ما ذكر ، وهو إنما يضمن ويلتزم عن
 نفسه لا عن نفسك . وعذر الناشر في عدم التنبيه على هذا أنه رآه هكذا بهذا
 التحريف في نسخة الخصائص المطبوعة ، وهى محشوة بالتصحيف والتحريف .

٦ - وفي ص ٩٤ في بقية النص السالف عن الخصائص : « وأراهم الحكمة في الترحيب له والتعظيم ، ، والترحيب بالحلم المهمة لا تعرفه يتعدى باللام ، وإنما يتعدى بالباء : وإني أرى أن الأصل : الترحيب - بالجيم - ، والترحيب : التعظيم ، وقد رجبه : عظمت . وتراه هكذا بهذا التعريف في نسخة الخصائص .

٧ - في ص ١١٨ ما يأتي : « ومن الأبواب التي يُظن أنها تعسر على من أراد تفهيمها وتفهمها ، لأنها موضع عامل ومعمول ، ولا داعية لي إلى إنكار العامل والمعمول . . ويلاحظ على الجملة الأخيرة أنها تناقض مذهب المؤلف ، فهو مبني على إنكار العامل ، كما سيجيء لك ، فله داعية أية داعية إلى إنكار العامل والمعمول . ومن ثمّ فيبدو أن الأصل : ولي داعية إلى إنكار العامل والمعمول .



٨ - في ص ١٢١ أورد البيت الآتي :

أثعلبة الفوارس أم رياحا عدلت بهم ضهيئة والخشابة

وضبط الفوارس بالجر بإضافة ثعلبة إليه : وظاهر أن الفوارس وصف لثعلبة ، وصفهم بذلك لأنهم من بني يربوع ، وبني يربوع منهم فرسان بني تميم ، فكان ذلك وصفاً وثناء لثعلبة : وما تقرر في البحر إلا يضاف الموصوف إلى الصفة .

٩ - في ص ١٤٤ في سياق الاستشهاد على النصب في جواب التثني : « وقرىء : ودّوا لو تدمن فيدهنون . . ويلاحظ على هذا أن الاستشهاد إنما يتم لو قرىء « فيدهنوا ، بالنصب ، - وقد قرىء كذلك - فيبدو أن الأصل ما ذكرت ، وما يشد من هذا أنه إنما يقال : قرىء كذا في غير قراءة العائمة ، وفي القراءات النادرة ، وهذا لا يصدق على قراءة الرفع . وما يذكر هنا أن قراءة النصب شاذة .

١١ - في ص ١٦٢، ذكر المؤلف من أمثلة ما أبدلت فيه الواو ياء، الأمر
نما فائوه واو ، نحو ، إيجل وإيسق ، وإيسق أمر من وسق ، ووسق
مضارعها يسق ، كوعد يعد ، وأمرها يسق بحذف الفاء لا يابدا لها ياء . ويبدو
أن الأصل : إيسن - بالنون - ، وهو أمر من وسن يوسن : أصابته
السنة ، وهي أول النوم .

١٢ - في فاتحة الكتاب : أدام الله بركته ، ونور بنوره الإيمان كخلده .
وظاهر أن الأصل : نور الإيمان .

١٣ - في ص ٨٩ : قالوا إنه مفعول بفعل مضمر تقديره أضربت زيدا .
وظاهر أن الأصل : تقديره ضربت زيدا .

نقد المؤلف للنحاة

يقوم نقد المؤلف للنحاة على أنهم بنوا النحو على أن كل أثر إعرابي لا بد له
من عامل في الكلام ، وقد جشتمهم هذا من التكلف والإبعاد في التأويل ما كانوا
في غنى عنه . وهو يعيب عليهم هذا ويزري عليهم أية مزلة ، ويدعو إلى نبذ
العامل وطرحه في النحو ولفظه كما تلفظ النواة .

وقد قام جدان غفيف حول قضية العامل في النحو لبضع سنين خلت ، أثاره
أستاذ من أساتذة الجامعة المصرية - هو الأستاذ إبراهيم مصطفى - وتصدى
للرد عليه أستاذ من أساتذة الأزهر - هو الأستاذ الشيخ محمد عرفة - ،
وقد علنا بظهور كتاب الرد على النحاة ، لصاحبنا القرطبي ، أن القرطبي كان
سلفا وإماما للأستاذ الجليل إبراهيم مصطفى .

وينقد المؤلف النحاة في قولهم بالعامل بأمور :

١ - قالقول بأن ضرب في قولك ، ضرب زيد عمرا ، عمل الرفع في زيد

والنصب في عمرو ، يوم أن هذا اللفظ ، ضرب ، أحدث الرفع والنصب . بل قد صرح بهذا سيويه ولم يورب إذ يقول : « لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه العامل » فانظر كيف نسب الإحداث إلى العامل . ويرى القرطبي أن هذا فساد كبير لا يقول به عاقل . والنحويون — وهم بحمد الله عقلاء — لا يقولون بهذا الذي يذكره القرطبي : وهم إنما نسبوا العمل إلى اللفظ لما كان داعيا المتكلم إلى أن يراعى في الكلام نحوًا خاصًا ، ويأتى في الكلمة بأثر معين . فضرب في المثال السابق يحمل المتكلم على أن يرفع زيدًا وينصب عمرا إذا أراد ألا يخطئ سنة العرب في كلامهم : فقد كان العربي إذا رأى في الكلام مثل ضرب رفع ونصب ، وقد كانت هذه النسبة في مبدأ الأمر بسبيل من التجوز والتوسع ، ثم صار ذلك حقيقة عرفية يراد منها المعنى الصحيح . وانسخ اللفظ عن هذا المعنى الفاسد الذي يورمه الوضع اللغوي لكلمة العامل : واصطلاحات العلوم كثيرة تعتمد المناسبات الضعيفة للمعنى اللغوي ، وما رأينا من ينكر هذا . ومن العجيب أن المؤلف ساق عن ابن جني وغيره البيان الصحيح للعامل ، ونفوا هذا الذي يورمه لفظه ، وكان يحسب المؤلف هذا في السكف عن النحويين : فقدبان غرضهم واستبان قصدهم . وكان خيرا له ألا يثير هذا النقد ، ولا يجعله مما يحاسب عليه النحاة ، وأن يعنى نفسه بما أخذ يذهب مذهب أهل الكلام في فساد عمل اللفظ ، ويحتفل له ويعقب على قول ابن جني أن العامل هو المتكلم نفسه بأن هذا مذهب المعتزلة ، ومذهب أهل الحق أن العامل هو الله سبحانه وتعالى ، فكل هذا لا حاجة إليه .

٢ — والقول بالعامل ساق النحويين إلى أن يتكلفوا تقدير محذوف لا يدعو الكلام إليه . وإن أظهر كان عيبا . ومن أمثلة ذلك ما قالوا في « أزيدا ضربته » فهم يقدرون العامل في « زيد » محذوفا وهو ضربته . وهو يذكرون أن هذا القول لا يحتاج إلى تقدير عامل . ووجه نظر النحويين في هذا التقدير أن ضرب فعل متعد إلى واحد ، وقد استوفى مفعوله وهو الضمير ، فزيدا لا بد أن يعمل فيه عامل آخر ، ولما لم يكن موجودا في اللفظ قدروه . ويذكر القرطبي أن هذا زعم

زعمه النحاة ، وكأنه لا يقول بالفعل المتعدي . وتراه في ص ١٠٣ يقول وهو
يمثل لدلالة اللزوم : ، ودلالة الفعل المتعدي على المفعول به والمكان ، فتراه
يعترف بالفعل المتعدي ولا ينكره . وترى أن الذي دعا إلى التقدير داع صحيح .
والنحويون يقررون أن هذا المحذوف لا يصح إظهاره : إذ كان في الكلام ما يفنى
عنه ويقوم مقامه . ومن ثم كان إظهاره عيبا ، ولا شيء في هذا يزي بنقد العامل .
وليت شعري ما الفرق بين الحذف في هذا الضرب ، والحذف في الضرب الذي
استساغه المؤلف : كالحذف في قوله تعالى : ناقة الله وسقياها ، ، وكلاهما دل
عليه دليل . وما هنا وجد في الكلام ما يفنى عن المحذوف ويسد مسده . ويرد
القرطبي أيضا بأن القائل لهذا الأسلوب قد لا يخطر بروعه محذوف ؟ والواقع
أن الناطق بالأسلوب أولا يراعى الحذف ، فإذا استقر الأسلوب وجري على
الأساس غفل عنه القائل . وهذا لا يفنى أن في الكلام تقديرا .

وتراه في هذا المقام يورد إشكالا على النحويين يظنه معجزا لهم هادما لأصلهم
إذ ما ذا يضمنون في هذا المثال : أن يدا مررت به . . والقارىء لهذا يحزم بأن
لنحويين لم يعرضوا لمثل هذا المأزق الذي أدخله عليهم القرطبي . والنحويون
عرضوا له ووجدوا لهم منه مخرجان ، فهم يقدرون في مثله : لا بست ، والأصل :
لا بست زيدا : مررت به . ومعنى لا بست زيدا كان لي معه شأن وأمر ، وفسر
هذا بعد بأنى مررت به . وانظر سيبويه يقول : ، وإذا نصبت زيدا لقيت أخاه ،
فكأنه قال : لا بست زيدا لقيت أخاه . وهذا تمثيل ولا يتكلم به . .

ومما يذكر في هذا الموطن أن النحاة ليسوا بجمعين على تقدير العامل في
الأسلوب الذي ذكره المؤلف . فمن السكوفيين من يرى أن الفعل عامل في الاسم
وضميره معا : إذ كانا شيئا واحدا : ومنهم من يرى أن الفعل عمل في الاسم ،
والضمير تأكيد للاسم .

وبعد . فقد رأيت أن هذا النقد هين لئن لا يقوم بما أراده القرطبي
من الهدم والنقض .

آثار الزوجية

وسمو التشريع الاسلامي

على جميع التشريعات الاجنبية

لحضرة الأستاذ صالح بكير

المدرس بكلية أصول الدين

للزواج آثار قانونية هامة ، وسفقتحدث عن ذكر أهمها مع استعراض تاريخي تطورها .

ففي العهد القديم لأوروبا تلمخص هذه الآثار في أن الزواج يكسب الزوج الولاية والسلطة على زوجته ، سواء من حيث النفس أو المال ، كما كسب الولاية أو السلطة الأبوية للأب على أولاده . فكانت آثار الزواج تنحصر في أن للزوج حقوقا على زوجته وعليها واجبات نحوه . ولكن الكنيسة خففت وطأة هذا المبدأ استنادا لقول القديس پول بالاعتراف للزوجة بأن لها واجبات زوجها . ويلاحظ أن ولاية الزوج قد تطورت نحو التخفيف منها في نفس الاتجاه الذي تطورت فيه ولاية الأب على أولاده .

ومن أم هذه الآثار قديما (وحدينا أيضا) أن تكون الزوجة عفيفة أمينة لا تفرط في عرضها ، فقد كان هذا التفريط يعتبر من أكبر الخيانات لواجب الزوجية .

وقد ترك عقاب الزوجة على هذه الجريمة للزوج نفسه ، فكان له حق مطاردتها بالسوط في الطرقات العامة للمدينة أو القرية . ولا شك أن هذا كان يودي بحياتها . كما كان رمزا إلى أن للزوج حق طرد زوجته الزانية من منزله بل من المدينة نفسها أو القرية التي هو بها ، وهذا قضاء عليها بالموت إذ لا تجد من يحميها قانونا . ويبدو أنه يمكن أن تستخلص قاعدة عامة من التشريع البربري (الجرماني) وهي أن للزوج حق قتل امرأته الزانية ، وكذلك شريكها في الجريمة حال التلبس المفاجئ ، كما أنه في حالة عدم التلبس كانت المحاكم تقضى بإعدام الزوجة الزانية .

وأما التشريع الكنسي الذي تبع هذه المبادئ فقد كان يقضى على الزوجة الزانية بالرجم ، وتشير كلمة المسيح فتقول : الذي لا ذنب له هو الذي يبدأ بالقاء الحجر ولكن الكنيسة رأت أنه لعوامل إنسانية (في رأيها) ضد ما كان قائما من عادات قديمة قاسية أن تخفف من هذا العقاب مكفية بعقوبات بسيطة على الزوجة الزانية ، وكذلك تأنيب الزوج الزاني . هذا وإن كانت الزوجة الزانية كان يحكم عليها بعقوبة الحرمان فإنه كان يحكم أيضا على الزوج بالحرمان لمدة خمس سنين أو الى الأبد ، كما يحرم الزوج من الاحتجاج بخطأ زوجته الزانية . وأمام تعسف رجال الكنيسة في معاملتهم القاسية ضد الزناة تدخلت البلديات وصارت تنظر جرائم الزنا ، ثم حلت محاكم الملك محل المحاكم الأخرى في نظر هذه الجرائم .

وقد بقيت آثار العقوبة المسيحية في أخلاق وعادات القرون الوسطى التي تحولت إلى نوع من التشفيع والإخجال الذين كانوا أشد خزيا من ارتكاب الجريمة نفسها . وقد كانت تصحب العقوبة غرامة مالية ، كما كان يكتفى بالغرامة في بعض الأحيان ، وكان يعاقب الشريك عقابا تحكما لا ضابط له متروك أمره للمحاكم فقد تذهب العقوبة إلى الزاني ، كما هو عليه في التشريع الروماني .

وتنفيد هذه العقوبات كان نادرا لصعوبة الإثبات .

وحينما اختصت محاكم الدولة بنظر جريمة الزنا أحل القضاء الملوكي محل عقوبات الكنيسة وعقوبات العرف والعادة عقوبات مقتبسة من مجموعة جوستينيان الجديدة وغيرها من التشريع الروماني . وتلخص عقوبة الزوجة الزانية في حبسها في دير وحرمانها من فوائد الزواج . كما كان يستعاض في بعض الأحيان عن الأجرامات القضائية بخطابات محتومة ، وذلك لتجنب المناقشات التي تثير الفضائح حيث قد يكون الإثبات عسيرا وغير قاطع ولا يترك إلا أثرا للأشاعات التي تشين الأسرة (كالمحاضر والإثبات بالكتابة والشهود) وانتهى التشريع أخيرا إلى أن حق اتهام الزوجة بالزنا هو من حق الزوج إلا في أحوال خاصة (كارتكاب الزوج جريمة الزنا أيضا وخشية الفضيحة) فلا يكون له هذا الحق كما أن الزوج فقد حقه في إعدام زوجته حال التلبس (وذلك من الوجهة النظرية) والذي كان

أثرا من الآثار القديمة . ولكن في الواقع اذا استعمل الزوج هذا الحق فانه ليس من الصعب عليه أن يحصل على العفو .

ويلاحظ كما سيأتى يياه . أن التشريع الحديث يفرق في المعاملة بين الزوجين الزانيين ، فلا عقوبة على الزوج الزانى ، كما لا يحكم عليه بالتفريق الجسمى كما لا يفقد حق الاحتجاج بزنا زوجته الزانية وإنما يحرم فقط من الفوائد المالية للزواج . وهذه التفرقة ليس منشؤها الدين ، وإنما كانت تطابق التقاليد والعادات التى تستند على مصلحة اجتماعية فى أن زنا الزوجة يجر إلى خروج أموال الأسرة إلى أجنبي ، كما يعرض الأولاد الشرعيين لهذا الخطر .

التشريع الوضعى : أما التشريع الفرنسى الحديث فانه يرتب آثار هامة على عقد الزواج :

١ — جرى العرف والاستعمال على أن الزوجة تحمل اسم زوجها ، كما تشير إلى ذلك المادة ٢٩٩ فرنسى مدنى ، وذلك بطريق المفهوم .

٢ — يكون محل إقامة الزوجة هو محل إقامة زوجها (١٠٨ فرنسى مدنى) .

٣ — ونصت المادة ٢١٢ مدنى فرنسى على وجوب الأمانة والمساعدة والتعاون بين الزوجين . ويستفاد من هذا أنه يجب على الزوجين عدم ارتكاب جريمة الزنا ، كما يجب على الزوجة السكنى مع زوجها . وكما أن النفقة تجب للمحتاج منهما على الآخر بما يقوم ويساعد على الحياة الزوجية .

٤ — ونصت المادة ٢١٣ مدنى فرنسى على أن الزوج هو رئيس الأسرة ، ويزاول وظيفة الرياسة فى الصالح المشترك للمنزل والأولاد ، وتشترك معه فى إدارة المنزل ماديا وأديا من حيث صيانة وتربية الأطفال ورعايتهم وتكوينهم ، وتقوم الزوجة مقام الزوج فى الرياسة عند وجود مانع للزوج .

٥ — ونصت المادة ٢١٤ مدنى فرنسى على أن كلا من الزوجين يشترك فى تكاليف شؤون المنزل (النفقة) وذلك بقدر طاقة كل واحد منهما إذا لم ينص فى عقد التظيم المسمى للزواج على شىء آخر يتعاق بذلك .

والأصل أن هذه التكاليف (النفقة) تقع على الزوج ، إذا أنه واجب عليه أن يقدم لزوجته كل ما هو ضرورى لمقومات المعيشة والحياة على حسب طاقته

وحالته، وتشترك الزوجة في ذلك بما تخصصه من أموال عند زواجها أو من ريع أملاكها التي تديرها. وفي حالة امتناع أحد الزوجين عن القيام بهذا الواجب فللآخر حق إجباره على تنفيذ هذا الواجب. ويلاحظ أن النفقة بقدر الحاجة وأنه إذا حكم بها ولم يطالب بسدادها في مواعييدها سقطت إلا في حالة الاستدانة عليها.

٦ — ونصت المادة ٢١٥ مدني فرنسي على أن اختيار محل سكني الأسرة هو للزوج، وعلى الزوجة الإقامة معه، ويجب على الزوج قبول إقامة زوجته معه وعدم منعها من ذلك. وإذا كان محل الإقامة الذي اختاره الزوج يحدث ضررا ماديا أو أدبيا للأسرة فللزوجة الحق في أن تطلب محل إقامة آخر، ويتضح من هذا وجوب الطاعة على الزوجة. وقد نص قانون العقوبات الفرنسي على جريمة هجران الأسرة بعقوبة الزوج الذي يهجر الأسرة بلا مبرر.

٧ — ومن أهم آثار الزوجية إلى عهد حديث عدم أهلية المرأة المتزوجة لأجراء التصرفات القانونية، فقد كانت القاعدة العامة أنه بمجرد زواج المرأة تفقد أهليتها لأجراء التصرفات القانونية (فتكون كالقاصر) وتقع تحت سلطة زوجها سيد المنزل. وهذا المبدأ نشأ عن مبدأ الوصاية المستمرة على المرأة الذي كان شائعا لدى الأغريق والرومان والشعوب الجرمانية. ولكن في أوائل عصر الامبراطورية الرومانية اندثر استعمال هذه الوصاية في روما ونالت المرأة استقلالها وأهليتها المدنية. ومع ذلك فإنها بقيت عديمة الأهلية في بعض الأحوال الخاصة كاللزامها لأجل شخص آخر، وكالتزامها على أموالها لصالح دائي زوجها. وكما قلنا فيما سبق إن الزواج بالسلطة اندثر في روما في العصر العلي، والذي كان يقتضاه تعتبر المرأة كأحد أولاد الأسرة فتقع تحت سلطة زوجها أو تحت سلطة رب الأسرة، وبقي الزواج بلا سلطة وهو الذي لا يجعل للزوج سلطة على زوجته قانونا لأعمالا حيث يعتبر الزوجان متساويين، فتحتفظ الزوجة بأهليتها كما كانت قبل زواجها؛ ولذا لا يكون البحث عن منشأ نظرية عدم أهلية المرأة المتزوجة في القانون الروماني. كما يلاحظ أيضا أنه في مقاطعات الجنوب بفرنسا التي كانت تتبع القانون الروماني والتي كانت تسمى ببلاد القانون المدون، لا يعرف مبدأ

عدم أهلية المرأة المتزوجة . ولكن هذا المبدأ وجد في مقاطعات الشمال بفرنسا التي كانت متأثرة بالطابع الجرمانى ، وكانت تتبع العرف والعادة ، وكانت تسمى ببلاد القانون الغير المدون ، إذ كان من مبادئ الشعوب الجرمانية وقوع المرأة تحت الوصاية المستمرة ، ولو أن هذا المبدأ قد اندثر إلا أنه بقى له أثر وهو وقوع المرأة المتزوجة تحت سلطة زوجها حيث كان وصيها الطبيعي ، ولذا كانت توجد تفرقة بين النساء المتزوجات وغير المتزوجات من حيث أهليتهن المدنية . وغريب جدا أن المرأة قبل أن تزج تكون أهلا لجميع التصرفات وبمجرد زواجها تفقد هذه الأهلية .

وواضعو القانون المدنى الفرنسى أبقوا هذا المبدأ أخذوا من بلاد العرف والعادة ، وأدخل بذلك فى بلاد القانون المدون . ويلاحظ أن هذا المبدأ أصبح أثرا تاريخيا وسائرا إلى الزوال ، وقد قضى على أكثر آثاره فى فرنسا سنة ١٩٤٢ تحت تأثير النظريات الحديثة من تساوى الجنسين ، بتأثير الحركة النسوية .

وكانوا قد عللوا مبدأ عدم أهلية المرأة المتزوجة بأن الزواج شركة ويجب لكل شركة رئيس ، ولكن هذا التعليل غير سديد : لأن كل اشتراك يقتضى التساوى بين الشركاء ، ولا يستلزم أن رئيس الشركة تكون له السلطة المطلقة على شركائه ، ووظيفة الرئيس هى الإدارة تحت رقابة الشركاء ، وقيل بأن تقرير هذا المبدأ هو لأن المرأة فى حاجة إلى الحماية . ولكن هذا التعليل غير سديد أيضاً إذ أنه يمكن أن يقال ذلك أيضاً عن المرأة قبل زواجها . وقيل بأن سبب هذا هو نقص عقل المرأة ؛ ويرد على هذا بأنه يمكن أن يقال هذا قبل زواجها أيضاً . فالواقع لا يوجد تعليل منطقي سليم إلا أنه أثر تاريخي كما قلنا . وقد نالت المرأة أخيراً فى سنة ١٩٤٢ أهلية التصرف فلا تحتاج إلى إذن الزوج أو القضاء .

ومبدأ عدم أهلية المرأة المتزوجة ينحصر فى أنها لا تستطيع أن تزاول التصرفات حتى ولو كان على مالها الخاص إلا باذن الزوج أو القضاء . ولما كانت ضرورة إدارة شؤون المنزل تستدعى أعمالاً متعددة سريعة ، اضطر القضاء إلى اعتبار أن هناك وكالة ضمنية من الزوج لزوجته من يوم عقد الزواج لإدارة

قلنا فيما سبق إنه طبقا للمادة ٢١٣ مدني فرنسي بأن من واجبات الزوجين الأمانة ، فلا يجوز لأحدهما ارتكاب الزنا . وقانون العقوبات الفرنسي (كالمصري) يعاقب الزوجة الزانية بالحبس أو الغرامة . ولكن القضاء الفرنسي أصبح يكتفي بغرامة بسيطة قدرها ٢٥ فرنكا ، وهو مبلغ زهيد يشجع على ارتكاب الفحشاء لأنها عقوبة غير رادعة .

وأخيراً الزواج يثبت نسب الأولاد الذين يرزقون للزوجين على فراش الزوجية ، كما يترتب على الزواج حرمة المصاهرة (كما بين سابقا) ، ولكن يلاحظ أنه لا توارث بين الزوجين .

الشريعة الإسلامية : لا يفقد الزواج في الشريعة الإسلامية أهلية المرأة ، وليس للزوج على امرأته سلطة بالنسبة لأموالها ، إذ أنهما متساويان في هذه الحقوق : وبذلك كانت الشريعة الإسلامية أسبق التشريعات في تقرير مبدأ أهلية المرأة المتزوجة ، وليس للرجل على زوجته إلا الطاعة في حدود معينة . كما أن النفقة تجب على الزوج فقط ، وعلى قدر طاقته وحالته (قانون سنة ١٩٢٥) . ولا يسقط متجمد النفقة إلا بالإداء أو التنازل . كما لا تجب النفقة في حال نشوز المرأة . فالرجل في الواقع له القوامه في الحدود التي يفتها الشريعة الإسلامية . وبالزواج يثبت نسب الأولاد . كما هو سبب للتوارث بين الزوجين المسلمين .

ولذا خلت الشريعة الإسلامية من الاضطراب والتعقيد اللذين وقعت فيهما التشريعات الأخرى ، وأقرت ما أقرته الشريعة الإسلامية منذ أمد بعيد (سنة ١٩٤٢) بالنسبة لأهلية المرأة) . وهذا من فضل الله على المسلمين .

أوائل المتكلمين من المسلمين

واصل بن عطاء - شيخ المعتزلة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ علي مصطفى الغرابي
المدرس بكلية أصول الدين

لقد انتهينا في المقالين السابقين من الكلام على واصل بطريق إجمالي، والآن نريد أن نتحدث عن آرائه .



آراء واصل الكلامية : مركز تحقيقات كليات علوم إيسوي

لقد كان الناس في عهد الرسول والخلفاء من بعده ثلاثة أصناف : مؤمن ، وكافر ، ومنافق .

فالمؤمن : هو ما اتفق ظاهره وباطنه ، ووافقت أعماله الجسمية اعتقاداته القلبية ، ينعكس نور إيمانه المستقر في قلبه على جوارحه فيدفعها نحو العمل ، وتكون أعماله ترجحاً عما يكنه قلبه من الإيمان الصادق ، واليقين الكامل .

والكافر : هو الذي جاهر بالمخالفة ، ووافقت أعماله الفاسدة ، عقيدته الباطلة فأعماله صورة لما في قلبه من الزيغ والضلال ، والفجور والكفران ، والشروع والآثام ، والسوء والبهتان .

وأما المنافق : فهو الذي يظهر خلاف ما يضمّر : يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، ليعامل في الدنيا معاملة المؤمنين عن إخلاص وطيب خاطر ، وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من النار : « يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون

إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما يكذبون » (١) .

أما من وقع منه مخالفة من المؤمنين فيظهر أنه لم يكن له اسم يعرف به ، إما لأنه لم يوجد من المؤمنين من وقعت منه مخالفة لما جاء به الدين الاسلامي وما آمن به من أحكام الشريعة الاسلامية ، أو وجد من وقعت منه مخالفة على ندرة ؛ والآخر أصح بدليل آية القذف ، والذين يرُمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون ، . ففي هذه نرى أن القرآن الكريم قد سمي من يرمى المحصنة بالزنا ، ولم يقدر على إثباته بأربعة شهداء - « فاسقا » . وأنه يجلد ثمانين جلدة ، ولكن لم يبين لنا القرآن هل هذه التسمية - وهو أنه فاسق - تخرجه من الإيمان الى الكفر ، أو أنه مع إيمانه فاسق ، أو أنه خرج من رتبة الإيمان الكامل ، ولم ينزل الى حضيض الكفر ، أي أنه في منزلة بين المنزلتين ؟ لهذا رأينا المسلمين قد اختلفوا بعد عصر الرسول عليه السلام ، وبعد أن انقضى معظم عصر الخلفاء الراشدين ، فيمن ارتكب كبيرة من المؤمنين بأي شيء يسمونه ؟ أيسمونه « مؤمنا فاسقا » كما هو رأي المرجئة ؟ أم يسمونه « منافقا فاسقا » كما قال الحسن البصري ؟ أم يسمونه « كافر نعمة فاسقا » كما ذهب الى هذا الشيعة ؟ أم يسمونه « كافرا فاسقا » كما زعمت الخوارج (٢) .

اختلف المسلمون في الصدر الأول (القرن الأول الهجري) في ذلك ، وذهب كل فريق إلى أحد تلك التسميات التي ذكرناها وقد أدلى واصل بن عطاء دلوه في هذا الميدان ، وكان له رأى خاص يخالف فيه غيره من المعاصرين له ، وهذا ما يعرف عند مؤرخي الآراء الكلامية ، بمسألة مرتكب الكبيرة ، .

- (١) لقد يدل لما ذهب اليه من التقسيم للكورفول الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ « الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف ، وقومه ذكر العرض . وأما الكافر فقد قعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذهن بالجزية وسج بالقرية . وأما المنافق في الحجرات والطرقات يسرون غير ما يملثون ، ويضمرون غير ما يظهرون » .
- (٢) للنبيه والامـل لابن المرتضى ص ٢٣ وللعل والنعل للشهرستاني ص ٣٣ ، طبع كيون .

كان واصل — كما ذكرت عند الكلام على تاريخه — أحد تلامذة الحسن البصرى ، وفى أثناء أحد الدروس التى كان يلقيها الحسن على طلبته ، وقف سائل وسأله عن مرتكب الكبيرة فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة . وهم وعيدية الخوارج : وجماعة يرجون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقاداً ؟^(١) بعد أن ألقى السائل سؤاله هذا على الحسن البصرى لیسع منه القول الفصل فى أمر مرتكب الكبيرة . وبينما هو ينتظر الجواب من شيخ المعلمين فى ذلك العصر ، وإذا بواصل يتطوع بالجواب قبل أن يعلن أستاذه رأيه قائلاً : « هو فى منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر »^(٢)

وجه تقرير واصل لهذا رأى :

لم يذكر مؤرخو الفرق الكلامية أن واصل واجه أستاذه بالتدليل على رأيه . وإنما وقفوا عند حد ذكر الرأى مجرداً عن كل استدلال أو تعليل ، إلا أن بعض الكتب^(٣) قد حكى لنا المحاجة التى وقعت بين واصل وعمرو بن عبيد الذى كان قد بقى على رأى أستاذه الحسن فى هذه المسألة — مسألة مرتكب الكبيرة — ولما اقتنع عمرو بن عبيد برأى زميله واصل اعتقه وقال : « ما بينى وبين الحق من عداوة ، والقول قولك ، وأشهد من حضر أنى تارك ما كنت عليه من المذاهب . قائل بقول أبى حذيفة »^(٤) :

أما التقرير الذى أقنع به واصل عمراً فهو أنه قال : يا أبا عثمان ، لم استحق مرتكب الكبار اسم النفاق ؟ قال عمر : لقوله تعالى ، والذين يرمون المحصنات

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ص ٣٣ طبع كيورتن .

(٢) الفرق بين الفرق للبندادى ص ٩٨ والملل والنحل ص ٣٣ . طبع كيورتن .
والشبير فى الدين لأبى المظفر الاسفراينى ، ص ٤٠ . ومختصر الفرق بين الفرق لعبد الرزاق ابن رزق الله الرسمى ص ٩٨ .

(٣) للنبة والأمل لابن الرضى ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤) للنبة والأمل ص ٢٣ .

ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون . . ثم قال : « إن المنافقين هم الفاسقون . . فكان كل فاسق منافقا ، إذ كان الالف واللام موجودين في باب الفسق . فقال واصل : أليس الله تعالى قال . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأواثمك هم الظالمون . . وقد قال في آية أخرى : « والكافرون هم الظالمون . . فعرف بالالف كما في القاذف ؛ فسكت عمر . ثم قال واصل : ألسنت تزعم أن الفاسق يعرف الله ، وإنما خرجت المعرفة من قلبه عند قذفه ؟ فإن قلت : لم يزل يعرف الله فما حجتك وأنت لم تسمه منافقا قبل القذف ؟ وإن زعمت أن المعرفة خرجت من قلبه عند قذفه قلنا لك فلم لا أدخلها في القلب بتركه القذف كما أخرجها بالقذف ؟

ثم قال واصل لعمر : أليس الناس يعرفون الله بالأدلة ويحملونه بدخول الشبهة ، فأى شبهة دخلت على القاذف ؟
ثم قال له واصل أيضا : يا أبا عثمان ، أيما أولى أن يستعمل من أسماء المحدثين : ما اتفقت عليه الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلفت فيه ؟ فقال عمرو : ما اتفقت عليه ، فالخوارج تسميه « كافرا فاسقا » ، والمرجئة تسميه « مؤمنا فاسقا » ، والشيعة تسميه « كافرا نعمة فاسقا » ، والحنابلة تسميه « منافقا فاسقا » . فأجمعوا على تسمية « مرتكب الكبيرة بالفسق » ، فأخذ بالمتفق عليه ولا نسميه بالمختلف فيه ، فهو أشبه بأهل الدين .

وهنا يجب أن نلاحظ أن واصل قد استعمل في استدلاله على رأيه وتقريره وإبطال رأي عمرو بن عبيد ، أو بالأحرى رأي الحسن البصري ، ثلاثة أنواع من الأدلة :

أولا : الدليل النصي من القرآن الكريم الذي أشار إليه بالآيات التي ساقها .
ثانيا : الدليل العقلي الذي بدأه بقوله : ألسنت تزعم . . . وانتهى به في قوله : أليس الناس يعرفون الله . . . الخ .

ثالثا : الإجماع . فقد قال — بعد أن ذكر آراء المخالفين وبين ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه — : « فأجمعوا على تسميته « بالفسق » ، فأخذ بالمتفق عليه ولا نسميه بالمختلف فيه ، فهو أشبه بأهل الدين . .

والص الأخير وهو قوله : « فهو أشبه بأهل الدين » يدل على أن واصلا ما كان يريد برأيه هذا إلا الرجوع إلى رأى مجمع عليه ، ولا يعمل هذا إلا من كان مخلصا للحق يقرر في الدين لله ، لا للهوى والشيطان : ومخالفته لرأى أستاذه ، الحسن ، لا تجعله متهما في دينه ولا كافرا ، كما يقول بعض علماء الأشاعرة الذين أرخوا لفرق المتكلمين : ومن هؤلاء أبو منصور ^(١) عبد القاهر بن طاهر البغدادى : قال عن واصل هذا في كتابه ، الفرق بين الفرق ص ٩٨ ، : ثم إنهما « أى واصلا وعمر » أظهرتا بدعتهما ، في المنزلة بين المنزلتين ، وضما إليها ، دعوة الناس إلى قول القدرية على رأى معبد الجوى ، فقال الناس يومئذ لواصل : « إنه مع كفره قدرى » ، وجرى المثل في كل كافر قدرى . ا هـ

ومنهم كذلك أبو المظفر ^(٢) الأسفراينى الذى قال في كتابه « التبصير في الدين ص ٤١ » : فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر — وكانوا يكفرونه بالقول الاول — وهو المنزلة بين المنزلتين ، الذى ابتدعه في فساق أهل الملة — وكانوا يضربون به المثل ويقولون : إنه مع كفره قدرى . ا هـ

ومن هنا ترى كيف أن أصحاب الفرق يتهم بعضهم بعضا ، وأيسر شيء يحكمون به هو حكمهم على كل من يخالفهم في رأى من الآراء مخلصا فيه ويجتهدا لا لشيء إلا الوصول إلى الحق ، والتمييز بين الصحيح والفاصل ، والصادق والكاذب — أيسر شيء وأقربه خطورا على بالهم هو الحكم على من خالفهم « بالكفر » ، مع أننا قلنا : إن لعلماء الكلام أن يجتهدوا فيما لم يرد فيه نص قاطع بشرط أن يوفق ذلك مع القواعد العامة والقوانين الكلية التى قررها الدين الاسلامى ، كما أن للفقهاء ذلك الحق ، ومن اجتهد منهم وأصاب فله أجران ، ومن أخطأ — بشرط أن يكون طالبا الحق مخلصا في طلبه — أجر . وهو كذلك مؤمن لا كافر . وفى مقابل تال إن شاء الله نتحدث عما سبق من آراء واصل الكلامية حتى نكشف عن عالم جليل من علماء المسلمين المتقدمين . والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

حقوق الانسان

بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب

المدرس بمعهد القاهرة

بالأمس رأيتني أخط عنوان هذه الكلمة دون ما وعي ولا إدراك ،
ورأيت كأن وازعا يحفزني أن أمشي في منعرجاته ، وأن أطوف بجنباته ، وأن
أسترسل فيه فربما كان من المقالات التي تجدر بعناية الكاتبين خصوصا في وقت
لا يفرغ أديب الى نفسه ، أو يسبح فيلسوف في مهامه خلوته ، وملكوت فكره
إلا عاوده الأسف على ما صار اليه الحال من انحسار وانهايار . وهنالك دوى في
رأسي صوت يغمغم ، ويل للانسان من الانسان ...! ، وأدركت بعدها على طريقة
الربط والترابط ، المسماة في رأى علماء النفس ، تداعى المعانى ، بانهايال أفكار
وهواجس أخرى كان أبرزها ما كان في الجاهلية من ظلم صارخ ، وجور شنيع ،
واعتماد لا يسيغه الذوق . وسوى هذا وهذا مما كان يتمثل في حروب ثور
بمخاضها ، وتدور رحاها ، ويعسلو في أجواز الفضاء غبارها فلا تضع أوزارها
إلا إذا شارف الحيان على الفناء ، ودنا الفريقان من الموت ، وأناخ الهلاك بكلك
عليهم جميعا ... فان أدرك الرشد عقلاءهم ، وأسعف رؤساءهم ، عادوا الى الصحو ،
وعلم كلاهما أى منقلب ينقلبون ، ولكن ذلك الى أمد ، ثم تعود السكره دواليك
وهكذا ...

وقد طاف الى جوار هذا الخاطر وأد البنات ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل
وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون
أم يدسه في التراب ، وغير هذا مما يدل على العقوق ، وغمط الحقوق ، ونبد
التآلف . وانعدام الرغبة في التعارف ، حتى لسكان الناس وحوش نافرة ، أو معان
متناكرة . وحينئذ التمس العذر للعربي الجلف فيما كان يأتي من ظلم ، أو يقارف
من خطل ، لأنه لم تربطه آصرة ، أو تلم شمله عقيدة ، والامة من شأنها أن يجمع

القانون شئاتها ، ويخضع أهواؤها المختلفة لحكم السلطان أو رأى الخليفة . وهو وإن كان يسكن الجزيرة ، تقله أرضها ، وتظله سماؤها ، إلا أنه مع أخيه المواطن ، وزميله القاطن ، كما يقول التصوير القرآنى « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » . ولذلك كانت المنة واضحة بالتثام الأرواح ، وتساقق الأشباح ، وانسجام العواطف ، وتلاقى الأغراض ، يوم أن أذن صوت الوحي فيما بينهم « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم . . »

وانتقل الخاطر بعد ذلك انتقالا خاطفا الى دعاة المدنية الحديثة . والحضارة التى سخر العقل فى خدمتها جنونه وفنونه ، فقالت حتى متى يضللون الناس بتلك الكلمات الجوفاء ، والجميل المعسولة ، والأساليب المفضوحة . من دعوى ، حقوق الإنسان ، وضمان السلم ، ونزع السلاح ، ورد المظالم ، وانعاش الدول التى طحنتها ربحى الهيجاء ، وأتت عليها ويلات المعارك ، ودكت معالمها قنابل القتال ؟ وما هذه المؤتمرات التى تجتمع وتفرض ، وتظعن وتقيم ، وهيئة الأمم ، ومجلس الأمن ؟ وما بالها بعد هذا كله لم تضمن السلام ، أو تكفل الطمأنينة ، وتقف المعتدى عند حد معقول من الاعتداء ؟ ألا إنهم قد يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . . والحرب لا تزال تطارد العالم ، وتكمن له فى كل مرصد .

وليس وراء دين محمد صلى الله عليه وسلم ما يضمن الهدوء والاستقرار ، ويُرَغَّب فى السلم ، ويُنفَر من الخصومة ، ويقضى على نزوات الهوى ، ونزغات الطيش ، إذ يدعو إلى الألفة ، ويُحَبِّبُ فى الإيثار ، ويحث المسلم أن يكون أخا المسلم ، لا يؤذيه : ولا يخونه فى عرضه ، أو ينتهك حرمانه . . . وقد رسم « حقوق الإنسان » باعتباره فردا . وباعتباره لينة فى بناء المجتمع . وحذره مواطن الهلكة . ونهاه عن موارد التلف ، ومزالق السوء . وضمن له بمشروعية البيع والشراء ، والرهن والإجارة . ونهيه عن الخلافة والخداع . ملكية صحيحة لا يصادفها جور ولا اعتداء . . . وأمره بالزكاة وبذل يد المعونة للبهائس الفقير ، والتفانى فى سبيل الخير العام ، ليكون المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . . وفى هذا من الدعوة إلى الإنسانية مالا تحصى . به شريعة ، أو تعترف به

تقاليد أخرى . . . ولا نقول هذا عصية هو جاء لدين يُقضي أن ننافع عنه ،
وندعو إلى مائدته . . . فإنه يأتي فيما يباه الوراثية المقبولة ، والتقليد الأعمى ،
ويجب دائماً أبدأ النظر والفقه ، والمماحصة والدرس ، حتى يكون الإيمان به
يقينا وإذعاناً بجريان من الرجل مجرى الدم الذي يذكي حرارة الحياة والحركة
« ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة » .

ولكننا نرجو هؤلاء الداعين إلى الوفاق ، الراغبين رغبة أكيدة في الإصلاح،
أن يجعلوا لهذا الكتاب الذي أنزله ربه مباركاً ليكون بين يدي هذا السكون هدى
للناس وبيئات من الهدى والفرقان ، نصيباً من النظر والاعتبار ، عسى أن تنتهي
هذه الإحس ، وتنقضي تلك المحن ، وتعيش الخليقة في بلمنية الحياة وغضارتها . . .

قلت لنفسى هذا الكلام حينما أمسكت بالقلم لا كتب تحت عنوان « حقوق
الإنسان » ، ولم البت أن سمعت هاتفاً في وادى الضمير يقول تيقظ من نومك
واصح من غفلتك ، فإننا في عصر ، المادة ، والمسلمون ليست لهم شوكة المسلط ،
ولا بأس المظفر الغالب ، وكل ما يملك أحدهم إذا دعا إلى الله أن يتلو آية ، أو يقرأ
حديثاً ، دون أن يعزز ذلك بما يحميه من عدوان الجاهل ، وسخرية الضال ، مع
أن رسولهم الذي يزعمون أن لهم فيه أسوة حسنة لم يغز غزواته ليفتح البلاد ،
ولا ليحجى الخراج ، ويضع في رموس المعاندين الجزية ؛ إنما حارب ليفتح القلوب ،
وينير البصائر ، ويوجه الأفهام إلى الخير : فمن اهتدى بهدایتة عصم بها ماله ودمه
وكانت سبيله سبيل المؤمنين .

وعدت فقلت : وماذا يفعل المسلمون والبأس لغيرهم ، والغلبة لعدوهم ،
وأيديهم خلوا من السلاح والذخيرة . غير أن هذا الهاتف انبعث إلى جانبه هاتف
آخر بأبيات كنت أحفظها من شعر شوقي ، فظلت أعيد فيها وأردد :

هل كان حول محمد من قومه	إلا صبي واحد ونساء
فدعا فلبى في القبائل عصابة	مستضعفون قلائل أنضاء
نسفوا بناء الشرك فهو خرائب	واستأصلوا الأصنام فهي مباء
والحق والإيمان إن مُصَبَّاً على	برد فيه كتيبة خرساء

المظاهرة المصرية لتأييد حق العرب في فلسطين

كان يوم الأحد غرة شهر صفر سنة ١٣٦٧ (١٤ ديسمبر ١٩٤٨ سنة) يوماً من الأيام المجيدة في تاريخ مصر : فقد تألفت فيه مظاهرة هي أول ما حدث من نوعها في الشرق ، من ناحية عدد أفرادها ، فقد بلغوا مائة ألف : ومن ناحية مكانة المشتركين فيها ، فقد سار فيها كبار شيوخ الأزهر ، وكبار قساوسة الإكاثروس القبطي ، وأكثراطية العلم الأزهريين والجامعيين ، وسائر معاهد التعليم في القاهرة ، بين وبنات : فكانت مظاهرة رائعة لالتهاب شعور الشرقيين بقسمة فلسطين بين الإسرائيليين وأهلها المسلمين .

ففي الساعة الحادية عشر أمّ الأزهر كبار علماء الدين وطلاب العلم ، واشترك معهم بعض كبار رجال الإكاثروس القبطي ، منهم حضرات القمامصة : متياس سكرتير صاحب الغبطة بطريرك الأقباط ، ومديوس البرموسى ، وصمويل السويريانى أرسانيوس وكيل مطرانية بنى سويف ، والارسمندريث فلامتيوس الصوتى : ساروا إلى جانب حضرات أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الأزهر ، والشيخ محمود أبو العيون سكرتير عام الأزهر ، والشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة ، والشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية .

وسار خلف هؤلاء العلماء والقمامصة بعض العلماء ، وسعادة صالح حرب باشا وفضيلة الشيخ حسن البنا ، وغيرهما ممن لا يحصون كثرة .

دشى هذا الموكب يحف به الجلال ، حتى وصل إلى ميدان إبراهيم باشا ، وكان قد أعدت في فندق الكوتيفنتال منصة للخطابة ، وجعل فيها كراسي لحضرات

« إننا مستعدون للتضحية بكل معانيها في سبيل إنقاذ فلسطين ، ونحن المسيحيين قبل أن نكون مسيحيين نعلن أننا على استعداد لتقديم كل تضحية في سبيل إنقاذ فلسطين وجعلها عربية . »

ثم أعقبه الأستاذ الأزهرى رئيس الوفد السودانى ، وألقى كلمة قال فيها :
« إن شباب الوادى فى الجنوب يهبون أرواحهم وأموالهم لفلسطين وللعروبة . »

وتلاه فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا فألقى كلمة حماسية بليغة ، بدأها بقوله :
« لبيك فلسطين ! » ، فوقعت من المتظاهرين موقعاً جميلاً .
ثم استأنفت المظاهرة سيرها إلى ميدان عابدين ، فبلغته فى منتصف الساعة الثالثة ، وأخذت تهتف باسم فلسطين ؛ وهنا انتهت مهمتها ، وتفرق أفرادها .

من نصيح الآباء للأبناء

نما قاله لقمان الحكيم لابنه ~~يا بني لا تصحك~~ من غير عجب ، ولا تمشى فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .

يا بني لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك : فإن مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما تركت .

يا بني إنه من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغتم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

يا بني زاحم العلماء بركبتك ، وانصت إليهم بأذنك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء ، كما تحيا الأرض الميتة بماء السماء .

وقال أعرابي لابنه : يا بني إنه قد أسمعت الداعى ، وأعذرايك الطالب ، وانتهى الأمر فيك الى حده ، ولا أعرف أعظم رزية من ضيع اليقين وأخطأ الأمل .

وقال على بن الحسين لابنه : يا بني اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للحنوف ، ولا تجب أخاك من الأمر الى ما مضرتك عليك أكثر من منفعتك لك .

مطالعات في الجبرتي :

العلماء سفراء وقادة

خضيرة الأستاذ محمود الشرقاوي

يؤرخ عبد الرحمن الجبرتي مصر في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وشطرًا من القرن الثالث عشر الهجري ، فهو يبدأ تاريخه بسنة ١٠٩٩ ، ويدون حوادث هذه السنة بعد إجمال لما سبقها من تاريخ مصر : وينتهي تاريخه بنهاية سنة ١٢٣٦ هـ .

وقد كتب الجبرتي تاريخه هذا في سنة ١٢٢٠^(١) . وتوفي على الأرجح في سنة ١٢٣٦ كما يفهم من السطور الأخيرة من الكتاب : فهو إذن قد شاهد كثيراً مما دونه في تاريخه الذي سجله (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ، وما لم يشاهده الجبرتي بنفسه من الحوادث التي انتهت عصره رواه عن ثقات شاهدوا هذه الحوادث وعصروها . ولعله روى كثيراً منها عن أبيه الشيخ حسن الجبرتي الذي كان عالماً ثانياً ذا مكانة وحظوة .

ويؤكد الجبرتي أن يكون وحده ، أو هو عن يقين ، ينفرد بتاريخ هذه الفترة من تاريخ مصر باللغة العربية : وهو بمعاصرته لطائفة كثيرة من حوادث هذه الفترة . وبما كان له ولأبيه قبله من المكانة ، قد دون هذه الحقبة من التاريخ في كثير من الدقة والإحاطة والتفصيل ؛ ويستطيع من يؤرخ مصر من بعده أن يعتمد على صدقه في تاريخ هذه الحقبة ، وأن يوثقه .

... .

كان الأزهر وكان علماءه في هذه الفترة التي يؤرخها الجبرتي ، يشغلون مكاناً

(١) ص ٢٧٧ جزء أول من تاريخ الجبرتي طبع المطبعة الشرفية .

رفيعاً في المجتمع المصري. ويؤثرون تأثيراً قوياً في حوادث ذلك العصر، وهم يشغلون بأخبارهم وحوادثهم جزءاً غير هين فيما كتبه الجبرتي من تاريخه؛ جزء غير هين في كمه ولا في كيفه؛ فهم في صفحات كثيرة من هذا التاريخ يذكرون، وهم في كل أمر جسيم من أمور مصر لذلك العهد يذكرون، من تعليم كاترين كثير من الأمور محورها ومؤثرها الأول والاخير.

ومع أن مصر في هذه الفترة من تاريخها كانت تعيش في حالة موصولة، واقعة تحت حكم طائفة من المماليك يظلمون أهلها، ويستبدون بتقديرها، ويذكرون جميع من في مصر في ظلمات من الجهالة، ومن الرعب الدائم والخوف القاتم، حتى فسدت قلوبهم وعمولهم، وضمائرهم وأخلاقهم - مع أن مصر في هذه الفترة كانت في حالة الحال، فإن ما نجده من أخبار علماء الأزهر في هذه الفترة هو كاترين بصرى في الظلام؛ بل لعله أن يكون وحدهم الحديث القريب من كاترين الجبرتي في تاريخ هذه الفترة من حياة مصر.

علماء الأزهر في هذه الفترة هم من كل قبائل في رأس هذا المقال، كانوا سفراء وقادة، سفراء الشعب المظلوم أن حكاهم بظلمة، وقادة الشعب الساجد ضد كل عدوان وجور وجبروت.

سفراء عند قوم يشك كل إنسان منهم في كل إنسان، ويرهب كل جرحه، ويوقع أهل كل بيت منهم بين بعضهم وبعض، ويتوجس كل أخ من أخيه.

وقادة بين قوم يقتل منهم الواحد والعشرة في أقل سب وبزازة، وتهدم أموالهم وتبني نساؤهم وأولادهم، ويخذ الناهب والقاتل والذليل كغيره من القوم له: أحسنت أنت سيدنا ونحن ملك يمينك.

هكذا كان الناس، وكان علماء الأزهر في ذلك الزمان.

يقول الجبرتي في حوادث شهر جمادى الأولى من سنة ١١٩١ هـ: كانت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم آل إلى الطلبة المغاربة، ولكن واضع اليد على ذلك

الوقف جحد هذه الايولة وأبى أن يسلم فيه إلى مستحقه ، والتجأ في ذلك إلى يوسف بك الكبير أمير الخاج فأعانه ، فأقام المغاربة دعوى أمام القاضى ، فأثبت لهم الحق في هذا الوقف . ولكن الأمر كبر على يوسف بك فأبى أن يسلم بحكم القاضى بل أمر بالشيخ عباس . زعيم المطالبين بوقف المغاربة ، أن يذهب به إلى السجن . فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر ليأتوا إليه بالشيخ عباس هذا ، طردهم انجاورون وسبوعم ولم يمكنهم من أخذه ، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر ، فكتب الشيخ الدردير كتابا إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم ولا يعاند في حكم أصدره القاضى . وأرسل الشيخ الدردير كتابه هذا إلى يوسف بك . مع شيخين اختارهما لذلك ، أحدهما يسمى الشيخ الفرنوى ، فلما وصل الشيخان إلى يوسف بك برسالة الشيخ الدردير ، أمر بالقبض عليهما . وزجرهما زجرا شديدا . ثم حبسهما .

واترك لدجبرتى أن يقص ما جرى بعد ذلك بأسلوبه المخرّيف حيث يقول :

... ووصل الخبر إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع ، فاجتمعوا في صبحها وابتصوا الدروس والأذان والصلوات ، وقفوا أبواب الجامع ، وجلس المشايخ بالقبلة القديمة ، وطلع الصغار على المزارات يكثرّون الصياح والدعاء على الأمراء ، وأغلق أهل الأسواق القرية الخوانيت ، وبلغ الأمراء ذلك ، فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين . وأرسل إبراهيم بك من طرفه إبراهيم أغايت المال فلم يأخذ جوابا ، وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان ، وأمر بفتح الخوانيت . فبلغ مجاورى المغاربة ذلك فذهب إليه طائفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصي والمسوف ، وضربوا أتباع الأغا ورجوه بالأحجار ، فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ومن العامة ، وذهب الأغا ورجع الفريق الآخر ، وبقي الهرج إلى ثانى يوم . حضر إسماعيل بك والشيخ السادات وعلى أغا كتحدا الجاويشية وحسن أغا أغات المتفرقة والترجمان وحسن أفندى كاتب حواله وغيرهم فنزلوا الإشرقية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرا بانفضاض الجمع وتمام المطلوب ، وكان ذلك عند الغروب ، فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا الجامكية والجرارية فركبوا ورجعوا ،

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ، وإسماعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات وجلسوا بالجامع المؤيدى . وأرسلوا للشيخ تذكراً محبة الشيخ إبراهيم السندوبى مخلصها أن إسماعيل بك تكفل بقضاء أشغال المشايخ ، وقضاء حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جماهيرهم وجراياتهم . وذلك بضمان الشيخ السادات له : فلما حضر الشيخ إبراهيم بالتذكرة وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهاراً وهو قائم على أقدامه . فلما سمعوها أكثروا من الهرج واللفظ ، وقالوا هذا كلام لا أصل له . وترددت الإرساليات والذهاب والمجيء بطول النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع فى آخر النهار . وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانباً من دراهم الجاهلية . ومن جملة ما اشترطوه فى الصلح عدم مرور الأغا والوالى والمحاسب من حارة الأزهر ، وغير ذلك شروط^(١) .

ثم يقول الجبرى بعد ذلك إن إبراهيم بك عيّن بعد هذه الحركة ناظراً على الجامع الأزهر بدلاً من الأغا ، وأهم الأسس من طرفه جندياً للطبىح . وسكن الاضطراب .

مركز تحقيق مكتبة مصرى

لم يكن فى هذه الفترة من تاريخ مصر من يستطيع أن يقف مثل هذا الموقف مع أحد من المماليك ، ولا مع تابع من أتباع المماليك : لم يكن أحد من العامة ولا من الخاصة مستطيعاً فى هذه الفترة من تاريخ مصر أن يرد مبعوثاً بعث به يوسف بك ، أو أن يصيح من فوق منبر بالدعاء على الممالك ، أو أن يكتب إلى أحد منهم كتاباً ينفه فيه إلى أمر كما فعل الشيخ الدردير حين بعث إلى الأمير يوسف ينفه إلى عدم التعرض لأهل العلم ومعاودة الحكم الشرعى ، على حسب قول الجبرى .

ولم يكن الممالك وأتباعهم وخدمهم يتحركون لأحد أو لطائفة من الناس ولا لأمر مهما يكن خطره مادام غير صادر عنهم أو عن أمير منهم ، ولكنهم عند ما يغضب أهل العلم فى الأزهر ، يبعثون إليهم بالرسائل يسترضونهم ويستشفعون

بشيخ منهم يتخذونه ضمينا لهم كما فعل إسماعيل بك بالشيخ السادات حيث جعله
عندهم شفيعا وضمينا ، ولم يكن الممالك يقبلون من أحد من الناس رأيا ولا يقضون
له أمرا إذا واجههم به . ولكنهم يسرعون إلى طلبة العلم فيقضون حوائجهم ،
ويترضونهم ويتصدقون اليهم في مساجدهم بحبيبين مسلمين قد أجابوهم لكل ما يطلبون .
ولا يظن ظان أن أهل الأزهر كانوا في غضبتهم هذه نفعيين تحركهم الرغائب
والمصلحة الخاصة حين يغضبون في أمر أوقافهم وأموالهم وجراياتهم ، فإن فيما
بذكره الجبرتي في صفحات كثيرة من تاريخه ، وما قد تلخص طرفا منه في هذه
الفصول ، ما يظهِرنا على أن أهل الأزهر كانوا يغضبون أشد الغضب أيضا في أمور
لا تنفعهم خاصة ، وإنما أثار غضبهم فيها الدفاع عن كلمة الحق ، وعن دين الله .
وعن الضعاف ، المظلومين من عباد الله .

الأدب مع الملوك

كان الحسن التؤلوي ليلة عبد المأمون وهو يسامرهم إذ نفس المأمون
والحسن يتحدث . فقال له : نعت يا أمير المؤمنين ؟ فانتبه . فقال المأمون : سوق
ورب الكعبة ! (أى لا يقول مثل هذا الكلام في حق أمير المؤمنين إلا سوق
لا يصلح لمجالسة الملوك) يا غلام خذ بيده ! فأخرجه الغلام .

ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك ينشده أرجوزته التي أوقف :
الحمد لله الوهوب المجزول ، وهى من أجود شعره . فلما أتى على قوله :
والشمس في الجوار كعين للأحول ، غضب هشام وكان أحول ، وأمر
بصفع قفاه وإخراجه ! .

ودخل كثير عمرة على يزيد بن عبد الملك . فبينما هو يتحدث إذ قال :
يا أمير المؤمنين ما معنى قول الشهاخ ؟ وأنشده بيتا له . فقال يزيد : وماذا على
أمير المؤمنين أن لا يعرف ما قال هذا الأعراي ! وأمر بإخراجه .

منزلة السنة من الدين

وضرورة العمل بها والانكار على من ردها

حضرة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

رجاء في سنن الدارمي — المقدمة ٤ — باب السنة قضية على كتاب الله ص ٥٥

خبرنا أسد بن موسى ، حدثنا معاوية ، حدثنا الحسن بن جابر ، عن المقدم ابن معد يكرب الكندي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم أشياء يوم خيبر : الحمار وغيره ، ثم قال : « يوشك الرجل منك على أريكته يحدث بحديث فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه . ألا وإن مما حرم رسول الله فليس من حرام الله . »

رجاء في مسند الامام احمد — الجزء الثاني ص ٣٦٧

حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا خلف قال : حدثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عرف أحدكم منكم أتاه عن حديث وهو منك في أريكته ، فيقول : أتوا عن به قرآن : ما جاءكم عنى من خير قلته أو لم أقله فأنا أقوله ، وما أتاكم عنى من شر فأننا لا أقول الشر . »

رجاء في الجزء الرابع ص ١٣٠ و ١٣١

حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يزيد بن هرون قال أنبأنا حريز بن عبد الرحمن ابن أبي عوف الجرشى عن المقدم بن معد يكرب الكندي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه . ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل يفتنى شعبانا على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه . »

ألا لا يحسن حكمكم إمامكم إلاهسي . ولا كل ذي ناب من السباع : ألا ولا
لنقطه من من معكم إلا أن يستغنى عنها صاحبها : ومن نزل بقوم فعلهم
أن يقرؤهم . فإن لم يقرؤهم فليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم . اهـ .

رجع في ص ١٣٢

حدثنا عبد الله . حدثني أبي . حدثنا عبد الرحمن وزيد بن حباب . قال : حدثنا معاوية
بن صالح عن الحسن بن جابر : قال زيد في حديثه : حدثني الحسن بن جابر . قال
سمعت المقدام بن معد يكرب يقول : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حزبه شيئا . ثم قال : يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث
حديثا فيقول : يوشك ويحكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحلناه وما
وجدنا فيه من حرام حرمناه . ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شيء ما حرم الله . اهـ .



رجع في الجزء السادس ص ١٠٠

حدثنا عبد الله . حدثني أبي . حدثنا علي بن إسحاق . أنبأنا عبد الله . أنبأنا ابن لميعة .
حدثني أبو نصر أن عبيد الله بن أبي رافع حدثه عن أبيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : لا عرف من يبلغ أحدكم من حديثي شيء وهو متكئ على أريكته
فيقول : ما أجد هذا في كتاب الله . اهـ .

وقال ابن عبد البر أيضا في كتابه جامع بيان العلم الجزء الثاني ص ١٨٨

(باب موضع السنة من الكتاب وبيانها له) .

قال الله تعالى ذكره : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .
الحج ١٦ . الجن ٤٤ . وقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم . ٢٤ . التور ٦٣ . وقال : وإنك لتهدى إلى صراط
مستقيم . صراط الله . ٤٢ . الشورى ٥٣ و ٥٤ .

وفرض طاعته في غير آية من كتاب الله وقرنها بطاعته جل وعز . فقال
: وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . ٥٩ / الحشر / ٧

وروى عن عبد الرزاق قال : أخبرني الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : قال عبد الله بن مسعود : لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتنصصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب . فقالت : يا عبد الرحمن بلغني أنك لعنت كبت وكيت ، فقال : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هو في كتاب الله ! قالت : إني لأقرأ ما بين اللوحين فما أجده . قال : إن كنت فائرة ، لقد وجدته : أما قرأت ، وما آتاكم الرسول تخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، قالت بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه في كتاب

الأنساب (٧٧) باب المتنصصات (٨٤) بهذا النص .

حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : لعن عبد الله الواشحات والمتنصصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . فقالت أم يعقوب ما هذا ! قال عبد الله : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله . وفي كتاب الله ! قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته ! قال : والله إن قرأتيه لقد وجدته ، وما آتاكم الرسول تخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ،

وجاء في إرشاد الفحول للإمام الشوكاني ص ٣١

قال الأوزاعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب

قال ابن عبد البر : إنها تقضى عليه وتبين المراد منه .

وقال يحيى بن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب .

والحاصل أن ثبوت حجية السنة المضهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضروري

دينية ، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام .

وجاء في كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر الجزء الثاني ص ١٨٤

حدثنا خلف بن القاسم ، حدثنا ابن المفسر قال : حدثنا أحمد بن عيسى بن سعيد

القاضي ، قال : حدثنا داود بن رشيد قال : حدثنا بقية بن الوليد عن محفوظ بن المسور

الفهري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«يوشك بأحدكم يقول ههنا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحلناه وما كان فيه من حرام حرمانه . ألا من بلغه عن حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه ، أ . هـ .

وقال الإمام الشافعي في رسالته ص ٨٨ :

قال الشافعي : وما سن رسول الله فيما ليس لله فيه حكم ، فبحكم الله سنه . وكذلك أخبرنا الله في قوله تعالى : « وإني لك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله ، ٤٢ ، الشورى ٥٢ و ٥٣ .

وروي عن رسول الله مع كتاب الله ، وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب . وكل ما سن فقد ألزمنا الله اتباعه ، وجعل في اتباعه طاعته ، وفي العناد عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقا . ولم يجعل له من اتباع سن رسول الله عذرا . إنما وصفت ، وما قال رسول الله :

أخبرنا سفيان عن سالم أبو النضر مولى عمر بن عبید الله سمع عبید الله بن أبي رافع يحدث عن أبيه أنه قال : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . أ . هـ .

قال ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم الجزء الثاني ص ١٩٠ :

والبيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين : بيان المجهل في الكتاب العزيز كالصورات الخمس في مواقيتها ووجودها وركوعها وسائر أحكامها ، وبيانها للمركاة وحداثها ووقتها ، وما الذي تؤخذ منه الأموال ، وبيانها لمناسك الحج .

قال صلى الله عليه وسلم إذ حج بالناس : «خذوا عني مناسككم . لأن القرآن إنما ورد بحملة فرض الصلاة والزكاة والحج دون تفصيل . والحديث مفصل ، وهو زيادة على حكم الكتاب كتحریم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وكتحریم الحمر الأهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، إلى أشباه يطول ذكرها .

وقد أمر الله جل وعز بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً بجملاً ، لم يقيد بشيء . كما أمرنا باتباع كتاب الله ، ولم يقل : وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ ؟

العصر العظيم في تاريخ العالم

— ١ —

د. كافنديشوس - جوتامو بودا - كزاندشت - فيث غورانس - من وجهة نظري كليفية

تأليف : د. ستانكا . تعريب : حسن طاعت زهران

« محاضرة خارج المنهج الدراسي أقيمت في جامعة هامبورج في التاسع عشر من -بتمبر- سنة ١٩٤٦ ، ويجب أن ينظر إلى ربط أصل نظريات هؤلاء الأربعة باستخدام الحديد والاستغلال السببي كغرض بمحتاج إلى فحص وتعميق » .



مكتبة المخطوطات والكتب النادرة

لنأخذ لنا مبرح هو لعالم كله . ولكنه العالم القديم . ويمكن العصر هو النصف الأول من تاريخ العالم ، التاريخ القديم بأكمله ، وبعبارة أدق : عصر ما قبل المسيح . ثم لنسأل بعد ذلك أي رجال هذا الزمن كان أعظم شأنًا ؟ ولست نريد بالطبع أعظمهم قوة ، أو أكثرهم إزاقة للدماء وانتصارًا في الحروب . ولا في التدمير والتخريب ؛ وإنما نريد أعظمهم في تحقيق السلام . في الشعور العميق . في التفكير السامي ، والأعمال الصالحة . فإذا ما ابتدأنا ببلاد شروق الشمس في الشرق الأقصى ، فإننا سنذكر أولاً الحكيم الصيني الأعظم كافنديشوس مفشي فلسفة الدولة لاكثر بلاد العالم سكانا . وإذا ما اضطلعنا الشمس في سيرها متجهة نحو الغرب ، فسجد أمامنا اسم معلم الإنسانية العظيم جوتامو بودا مؤسس أول دين عالمي .

أما في إيران فسيظهر أمامنا المعلم العظيم زردشت الذي دأ الناس والتقوى السماوية معاً للنضال ضد الشر في العالم . وأخيراً نجد في بلاد الإغريق بعض

الصعوبات : من يكون من بين مفكرى هذه البلاد الافذاذ أعظمهم شأنًا ؟
سقراط ، أم أفلاطون ، أم أرسطو ، أم أبيقور ، أم زينون ؟ وهنا لن تركز
العضمة الروحية على شخص بعينه ، فلن نستطيع أن نتحدث إلا عن مثل لقوة
لإغريق الروحية . ونكت بعد أن نبحث قليلة ، وتردد قليل ، وبعد المقارنة
بينهم وبين الثلاثة الأوائل . سنختار ولا ريب فيثاغوراس ، وهو الوحيد الذى
يمكن أن نضعه في مرتبة هؤلاء الثلاثة الأوائل (١) .

بعد كانوا أعضاء ، وعضمتهم هى العامل المشترك بينهم ، ولكن هل ثمة عواس
مشتركة أخرى بينهم ؟ وماذا نعرف عنهم ؟

نأعرف ، ونعرف بالتحديد ، المكان الذى هموا منه : ويبدو من النظرة
الأولى أن ليس هناك شيء شائع بينهم ، بل إنه يحتمل وجود اختلافات وفوارق
كثيرة بينهم . نظرًا لأن الأماكن التى نشأوا فيها تباعد تباعدا شاسعا . وأما كن
ولاداتهم . . . وليس فى ذلك ريب . كانت بعيدا بعضها عن بعض بحد كبير .
ولكنه يوجد نظام لافت للنظر فى هذا البعد وفى توزيع هذه الأماكن ، فكل
مكان يبعد عن الآخر بمسافة قدرها ٣٠٠ ك . م . تماما ، وقد يظهر هذا التحديد
كأنه هو عارض لا معنى له . ولكن من الصعب أن نعتقد أن من الصدفة أن
يضم فى كل مركز من مراكز الثقافة القديمة : فى الصين وفى الهند وفى جنوب
غرب آسيا وفى اليونان حكيم عظيم ومعلم كبير ، كان له نفوذ قوى منذ آلاف
السنين . وإذا لم نجد فى هذا النظام ظاهرة حكمية ، وعلامة لقانون هام فى تقدم
نشر الروحي .

وبعد ذلك الزمن : عصر نشاطهم : ومعلوماتنا هنا ليست دقيقة كل الدقة .
ولكن نستطيع تحديد تاريخ ولادة وموت واحد منهم غير كنفثيوس : فقد ولد
فى عام ٥٥٠ أو ٥٥١ ومات فى عام ٤٧٨ ق . م . وليست الأخبار عن فيثاغوراس
بهذه الدقة . وإن وجد تاريخ واحد عن حياته له بعض التأكيد : ذلك أنه ترك بلدته

(١) كنفثيوس ، جوتامو بودا ، زودشت .

ساموس حوالى عام ٥٣٠ ق. م.، وذهب الى إيطاليا و الى كروتونا حيث أنشأ
تخلته المعروفة، وحيث أمضى أخصب سنى حياته. ومن هنا يفترض الباحثون أن
فيثاغوراس قد ولد عام ٥٧٠ ومات فى عام ٥٠٠ ق. م. بالتقريب. وعلى ذلك
يمكن اعتباره معاصرا لكشفسيوس بأدق معانى هذه الكلمة. أما تاريخ جوتامو
ففيه من الشك أكثر مما فى سابقيه حيث لا يوجد تاريخ يمكن أن يؤخذ
نقطة بدء.

كما أنه يوجد اختلاف كبير فى تحديد زمن نشاطه وإذا اجتمعوا لم يمكن التعميم
أجمعوا بعد بحث وتدقيق على احتمال ولادته فى عام ٥٦٠ ق. م. وموته فى عام
٤٨٠ ق. م. وقد يزيد كلا التاريخين أو ينقص عشر سنوات. وعلى ذلك يكون
جوتامو قد عاش فى نفس الزمن الذى عاش فيه كشفسيوس وفيثاغوراس.
ولا يمكننا أن نتجاهل أن هذا العصر الزمنى لاقت للنظر خاصة فيما يتعلق
بكشفسيوس وجوتامو، وعلينا أن نأخذ على أنه أهم تصادف فى تاريخ العالم كله.
ولكن يمكن أن يكون هذا العصر أكبر من ذلك. فعلى الرغم من أن عصر
زردشت غير محدد بالكلية، وعلى الرغم من أن آراء الباحثين تختلف فيه اختلاف
كبيراً. فليس لنا أن نصدق الكتاب الاغريق الذين اعتقدوا أنه كان يسبقهم
بآلاف السنين. وحتى رأى القائل إن زردشت كان يعيش قبل عصرنا هذا
بألف عام، يجب اعتباره رأياً باطلاً. ويميل جل المؤرخين إلى اعتبار عدم ٧٠٠ ق. م.
أكثر السنين احتمالاً، وحتى فى هذه الحالة، أى منذ ٢٥٠ سنة، يمكن أن نلاحظ
على أنه معاصر - بأوسع معانى هذه الكلمة - للثلاثة السابقين. فليس من بدع
أن عصرهم بالذات، فإنه ينتمى إلى زمنهم التاريخي.

ولكن هذا التاريخ ٧٠٠ ق. م. قد لا يمكن أخذه على أنه الكلمة الأخيرة
للعلم. فمثلاً يرى أوتران، وهو أستاذ معاصر، أن التاريخ الأكثر احتمالاً لحياة
زردشت هو الفترة التى بين ٦٦٠ و ٥٨٥ ق. م.

(١) انظر كتاب حياة بوذا: ١ ج. توماس، لندن ١٩٢٧.

(٢) شارل أوتران: ميثرا وزردشت وما قبل التاريخ المسيحية.

Charles Autran: Mythra, Zoroastre, et la préhistoire
aryenne de Christianisme, 1935.

وفوق ذلك فقد ساد فديما أن زردشت كان معاصرا لوالد الملك الفارسي دارا. وذكر ذلك المؤرخ الروماني اميانوس مارسيلينوس (١) أما البارسيون وهم الزردشتيون الذين يعيشون في الهند، فيقصون نفس الخبر، ويميل المؤلفون المحدثون إلى قبول هذه النظرية. ووالد دارا كان يسميه المؤرخون الإغريق هستاسب Hystaspes : وجاء في تاريخ زردشت أن أول المؤمنين به والحامين له هو الملك هستاسب Vistaspa وهو اسم قريب من الأول، وتوجد كتابة على صخور المشهور بهستون، Behistun (٢) تدل على أن اسم والد دارا هو هستاسب وهو نفس اسم حامي زردشت. وهذا اتفاق عميق المعنى يؤكد حقيقة : هي أنه في نفس هذه الكتابة الحفرية عن دارا توجد أول معلومات مباشرة، إن لم تكن عن زردشت، فمن عقيدته : فإن الكتابة تذكر اسم أهورا مازدا باعتباره موجودا أعلى. وقد دفعت هذه الحقائق بعض الدارسين إلى أن يحددوا بين شخصيتي هستاسب الواردة في الزند أفسنا، وبين هستاسب هستاسب والد دارا. ويوجد بحث قيم عن هذا الموضوع في مقال لارنس هارزفند انتهى منه إلى أن التماثل بين هستاسب المذكور في الكتابات الحفرية وبين هستاسب المذكور في الزند أفسنا هو تماثل كامل. فإن الاسم واللقب والزمن والخاصية، كل هؤلاء ذكروا بالضبط، وإن تضابفهم فوق كل شك (٣).

ولو قاسمنا هارزفند رأيه، لرأينا أن دارا قد تولى الحكم عام ٥٢١ ق. م. وكان زمن نشاط زردشت هو الوقت الذي كان أبو دارا لا يزال فيه على قيد الحياة. أي منتصف القرن السادس قبل الميلاد : فيمكننا أن ننظر إليه كمعاصر للحكام الثلاثة الأول بالمعنى الضيق لهذه الكلمة، ومن هنا تزداد المعاصرة الثلاثية إلى معاصرة رباعية تضم أربعاً من أعظم الأحداث الروحية في تاريخ

(١) Marcillinus : " addidit Zoroastras 'diende : ملك اسمه :

Hystaspes rex prudentissimus, Darei pater".

(٢) قرية في فارس على حفورها كتابات حفرية تمان من كتبها هندی رونیون

١٨٤٦ (المغرب).

(٣) لارنس هارزفند « دراسة في الآثار الإيرانية » ١٩٢٩ ص ١٨٥.

البوذية أول الأديان العلمية المنتشرة . وإن انتشار البوذية السري وغزوها الموفق لدول مختلفة ، كبيرها وصغيرها ، لحادث يبعث على الدهشة ، ويظهر لنا مقدار النفوذ الروحي لكلام بوذا . وإذا حذفنا السؤال عن تأثير البوذية المحتمل على أصل المسيحية (١) ، فإن خمسة ما يرون من أتباع هذا الدين — في أيامنا — علامات نهضتهم ونفوذهم المزايا حتى على البلاد غير البوذية ، لحير دليل على حيوية تعاليم جو تامو الدافقة .

وإن إذ نقف من هذا البحث "تقصير عن مدى تأثيرهم ، نرى أنفسنا مضطرين إلى الاعتراف بأنه ليس من بين رجال العصور القديمة إلا أربعة أو ثلاثة على الأقل لم يلبسوا من الإنسانية ، بل إن العالم ليزداد لهم تقديراً واحتراماً عصرنا . ونظهر لنا هذه الحقيقة عظمتهم الحقيقية ، وعظمة عصرهم الذي كانوا يعيشون فيه . ومن ناحية أخرى فإن هذا التأثير يفضح عن السمات الحقيقية لروح الإنسان الذي تأثر تأثراً عميقاً بهذه التعاليم ، حتى إن صداها ليردد طيلة ألفين ونصف من الأعوام . ونحجب أن نعترف بوجود اتفاق عميق بينهم : فإن كان كذلك فإن فيه هذه التطورات يعني إلى حد ما فهماً الجوهر الروحي للإنسان .

(يتبع)

الحلم والجهل

لئن كنت محذراً إلى الحلم	إلى الجهل في بعض الأحابيل أخرج
وم كنت أرضى الجهل خدفاً وصاحباً	ولكنني أرضى به حين أخرج
فإن قال قوم إن فيه مباحة	فقد صدقوا والذل بالخر أصبح
ولى فرس للحلم بالحلم ملجأ	ولى فرس للجهل بالجهل مسرح
فمن شاء تقويني فإني مقوم	ومن شاء تعويني فإني معوج

(١) بحث هذه المسألة بحثاً كاملاً ، ونرى أن السؤال الآن أصبح : إلى أي حد أثرت البوذية على المسيحية ؟ ، وكيف حدث هذا ؟ ، بدلا من السؤال القديم : هل أثرت البوذية على للمسيحية أم لا ؟ وهو سؤال أصبح مبتذلاً باطلاً .

في أدب المرأة :

الجمال والصدق

لفضيلة الأستاذ كامل محمد عجلاز

المدرس بمعهد القاهرة

إذا وعت المرأة بعض الجوانب المشرقة من ماضى أديها ، كان لها منه ما يقوى
معنوياتها ، ويدفعها في طريق الأمل النافع ، والمثل الصالح ، والوجهة المجدية لها
ولأبنائها ، والنافعة لوطنها .



وأغلب ما روى في كتبنا الأدبية المشاركة على جبين الأزمان ومختلف العصور ،
يشهد كله بوضوح أدب المرأة ، ويكشف فيما نسب إليها عن عاطفة إنسانية شريفة
وتزهو بالجمال ، والإخلاص ، والوفاء ، والركة البالغة .

والوان الأدب النسوى تغايت بحسب البيئة ودواعي الحياة وحبها مع الأحداث
السياسية والاجتماعية ، منها القوى ومنها الضعيف ، وفيها الفرح وفيها الحزن ،
وعندها المؤمل وعندها اليائس ، وقد توزع بين المنظر المشرق والمظلم ، وحاملاً في
ثوب الحكمة والمثل ، والأقصوصة والأحداث .

وحفظت لنا كتب الأدب وأسفار النوادر ومجائف الملح ومختارات
الأخبار ، بعض ظلال من حوار النساء وجدلهن ، ومواقفهن في الحروب ، وفي
سياسة الرأي ، والتفاخر ، والتفاضل ، والدفاع عن الحقوق لدى الخلفاء والقادة ...

كما خلدت الكتب لكثير من السيدات المسلمات ، ومن قبلهن للأعرافيات ،
خطباً احتفل بها الرواة ، واعتزت الكتب ، وازدانت بيلاعتها وصراحتها وصراحتها
وصدقها وقوتها . . . وآنسنا فيما بقي لنا من آثار المرأة ، روح الزوج المخلصة ،
والأم العطوف ، والأخت المفاخرة ، والابنة المعترزة بقوة قبيلتها ، وجهد عشيرتها ،
ودفاع قومها وانتصار جانب أهلها وحماها .

وإذا كان أدبنا يمتد فنه ، وتتأصل منابته ، وترجع إلى أعماق سميقة ، فإننا
لا ننسى ، كلما ذكرت مجامع الأدب وأسواقه ، مثل (سوق عكاظ) .
لا ننسى حظ المرأة ونصيبها في هذه المدارج ، كما لم ينسها التاريخ إذ خلدها
ما خلفت من كلم ، وما جودت من شعر ، وما حسنت من قول .

نعم : كانت النساء ترحل في مواسم الأدب مع الأهل وذوى القربى إلى
الأسواق : وبعد انطواء صفحات التجارة والتشاور في أمر الثارات والتفاخر
بالأنساب ، نجد المرأة تشترك في المعارك الأدبية ، وتشترك في الجدل البياني
والإفصاح البلاغي ، بما يعد في المكانة العالية ، والمنزلة المرموقة ، والقدر المحجب
الجميل النافع في موائد الرأي الأدبي ، وخاصة الشعر الذي كان عدة للعربي
والعربية ، يشرح قضية السياسة ، ويعبر عن أهداف الجميع وأمل العشائر ، ويكافح
في كل مأزق يقع ، أو مأزمة تجر ، أو خلاف ينشب .

ومن النساء اللاتي شهدن السوق الأدبية ، وكان لهن القدح المملئ : (الخنساء)
سيدة شاعرات العرب غير مدافعة ؛ ولقد حكم لها النابغة الذبياني حين أنشدته
قصيدتها في أخيها ، وفضل شعرها وأشار إلى الأعشى ، وقال لها : لولا أن
أبا بصير أنشدني قبلك ، لقلت إنك أشعر من بالسوق هذا العام .

• • •

حتى إذا أشرقت شمس الإسلام ، ورفعت مكانة المرأة ، وتميز كيانها العائلي
والمنزلي ، وقفت المرأة عند الحد الذي رسمه الإسلام لها ، ورضيت بنصيبها
ورسالتها القويم .

• • •

غدرت بنا بعد التصافى وختنا وشر خلال في الرجال خؤونها
وضيعت سرا كنت أنت أمينة ولا يحفظ الأسرار إلا أمينة

وينسب لأعرابية في التعلق بالوطن ، وقد هفت بأيات وكانت تسوق
أعزاً ترعاها فسألها أحد الرجال عن مدرجها وملعب صباها ، فقالت متمدحة
ذاكرة وطنها :

بلاد بها حل الشباب تمائم وأول أرض مس جلدى ترابها

ولم يأت لأروى أياتاً لعربية تسمى (ميسون بنت بحدل) وهي أم يزيد بن
معاوية ، تشوق الى وطنها ومرقعتها الأولى ، ومعهدها ملاعبها ومالك لداتها
في البادية . تقول :

لبيت تخفق الأرواح في أحب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب الى من لبس الشفوف
وأكل كُثيرة في عمر بيتي أحب الى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج أحب الى من نقر الدفوف
خشونة عيشي في البدو أهوى الى نفسي من العيش الطريف
فما أبغى سوى وطني بدبلا وما أبهأ من وطن شريف

ومن الأيات المأثورة عن فتاة (جديس) في تحميس قومها :
فللين خير من مقام على الأذى وللبوت خير من مقام على الذل

والذى لا شك فيه أن المرأة - وخاصة الأم العربية - هي التي كانت تفتن

ابنها أصول الأدب وتمده بقوى البيان : وكما ترضعه بلبنها كانت تسقيه من معين الشم ونيل الأخلاق وكريم الطباع ، وتسليه الى والده فتى شب على جليل الخصال : وما على الأب إلا أن يعلمه الرماية وَيَفْتَتِلَ سَاعِدِيهِ ، ويزج به في ساحة الرجولة وقوة البأس ، والحفاظ على العيش كريماً .

وليس معنى ذلك أنها كانت تترك ولدها بعد أن يشب عن الطوق ، ويقف إلى جنب والده وفي وسط عشيرته ... لا ، بل كانت تقف منه موقف الناصح والموجه والمشجع .. ومن ذلك حديث (أسماء بنت أبي بكر الصديق) المسماة ذات النطاقين ، حين حوَّصر ابنها عبد الله في مكة المكرمة ، وأحاط به جند الحجاج من كل جانب وتولى عنه أنصاره وجنده ، فرَّ منهم من فر ، وقتل من قتل . وبقي فريداً وحيداً ... فدخل على أمه (أسماء) وقال لها : إنه لم يبق إلا القتل ! وكانت حينذاك كبيرة مكفوفة البصر . فقالت له : أجزعا من لقاء الله ؟ فقال كلا ، ولكنني أخاف إذا قتلت أن يمشلوا بي . فقالت : إن الشاة إذا ذبحت لا تبالى بسلخها ، ثم انقلبت إلى مصلاتها .

مركز بحوث الدراسات الإسلامية

وقالت سيدة : وقد دفعت بابنها إلى مطلب يهمها ويهم أسرته وقبيله .

يا بني ، كان الله صاحبك في أمرك ، ووليَّ نَجْحَ طَلِبَتِكَ . امض لا أشمت الله بك عدواً ، ولا أرى محييك فيك سوءاً . وقالت امرأة أخرى تنصح ابنها :

يا بني إن سؤالك الناس ما في أيديهم من أشد الافتقار إليهم : ومن افتقرت إليه هنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل الناس وترغب . .

ولدينا مآثورات عن المرأة تشهد بأنها كانت ، ولا تزال ، حريصة على تنمية كرائم الطباع ، وتدفع بأبنائها الى الموارد الكريمة السامية ، ولا تقبل من شبلها أن يعطى الدنية في نفسه أو في موقعه ، أو يضرع إلى الرجال ، أو يخضع أمام مطالب الحياة . فيقدم يده صاغرة يستجدي العون ، أو يستمد من غيره مع امتنان أو إذلال .

والمثل الكريمة والتوجهات الصالحة في سيرة النساء أكثر من أن تحصي ؟

مدرسة النقد الادبي

بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ عبد السلام أبو النجا سرحان
المدرس بكلية اللغة العربية

مدرسة النقد الادبي :

لقد عذبت الامة العربية — أكثر من سواها — بنقد آثارها الادبية ، وميز
جيدها من رديئها : ذلك أنها أمة كلام وفصاحة ، تنو عواطفها للبلاغة ، وتهفو
قلوبها لسحر البيان .

ولذلك اهتمت بالنقد ، وفصل الطيب عن الخبيث ، ليبقى الاول على الازمان ،
ويرمى الثاني في زوايا النسيان . كما أشهد د. عبد الحزاعي :

يموت ردى الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

وقد نشأ عن هذا الاهتمام حركة مباركة غايتها الارتفاع بالادب الى أسمى
مكان ، وعدتها البحث والتنقيب ، ثم الحكم والتعقيب ؛ ويطلق أدباء العصر
الحديث على هذه الحركة ، مدرسة النقد الادبي .

وقد كان لهذه المدرسة فصول وتلامذة وعمداء اختلف عددهم قلة وكثرة ،
باختلاف العصور السياسية والنهضات العلمية والادبية ، والذي نرجحه أنها نشأت
منذ نشأ الادب ، لأن النقد فطرى فى الانسان يحاول أن يصل به الى غاية الاحسان .
وسنقدم تاريخاً موجزاً لتلك المدرسة لنقف على الأطوار التى قطعتها فى العصور
المختلفة حتى نضجت ثمرتها واتسعت رقعتها هذا الاتساع الهائل أيام العباسيين .

فى العصر الجاهلى :

فى العصر الجاهلى كان الشعر أهم فنون الادب ، فتناوله يد التشريح ؛ يذبح
النقد الحاد ، وساعدت مساعدة جديدة فى إخراجه بهذا الثوب القشيب .

والمعقول أن يكون للنقد أثر هام في فضج الشعر العربي ، إذ كانت فصول مدرسته منتشرة في بقاع الجزيرة العربية ، متثلة في أسواق العرب ورحلاتهم الطويلة ، ومجتمعات الحج ، والمعارك الحامية بين القبائل .

ولقد كانوا يحتفلون بنبوغ الشاعر ، ولا يمكن أن يأتي هذا النبوغ فجأة ، بل لابد أن يكون بعد درس ونقد وتمحيص ، وبعد أن يظهر الشاعر في مجالات النقد حتى يعترف له الشعراء بالتبريز والتجلية : ولا نستطيع أن نغمط قريشا حقها في نقد اللغة الأدبية وتهذيبها ، ففضلها في هذا واضح مشهور : قال أبو نصر الفارابي في كتابه ، الألفاظ والحروف ، : كانت قريش أجود العرب انتقادا لأفصح الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسجوعا وأبينها إبانة عما في النفس (ص ١٤٧ الشهاب الراصد) .

ولو صح ما رواه ابن عبد ربه (ص ١١٩ ج ١ العقد الفريد) ومن تبعه في شأن تعليق بعض القصائد بأستار الكعبة لأن العرب تخيرتها من الشعر القديم ، لكان ذلك أكبر دليل على انتشار النقد الأدبي وشهرته في الجاهلية : ولقد كان بعض الشعراء يبقون القصيدة عنده حولا لتهذيبها وتقيحها (ص ٧ ج ٢ البيان والتبيين و ص ١٠ طبقات الشعراء) وهذا العمل من صميم النقد الأدبي .

ومن ميزات النقد في هذا العصر أنه كان يعتمد على الفطرة ووحى الخاطر ، وتقدير اللفظ والمعنى ، وقوة التأثير ، وملاحظة كل عيب يمكن أن يمس القصيدة من حيث المعنى والاستعمال والأوزان والقوافي . وكان ذلك عاما منتشرا بين الشعراء وسواهم : ولكن عصر التدوين لم ينقل لنا من مظاهر النقد في الجاهلية إلا تنقا مبثوثة في بطون الكتب ، ومقتضبات مذكورة في سجلات الأدب .

ويرى الباحث أن النقد الجاهلي كان في الغالب سديدا لأنه نتيجة العرض على الذوق الأدبي الخالص ، ولم تكن قواعده وقضاياه العلمية قد عرفت بعد .

على أن مواطن النقد في الشعر والأدب كانت قليلة جدا بالنسبة للمصور اللاحقة ، ولهذا لم تكن المدرسة كثيرة الفصول والتلاميذ آنذ ، لأن الأسلوب الفطري كان يحكم الأدب العربي في جميع الأصناف .

وكان التابعة للذياني أكبر عمداء المدرسة في الجامعة ، فكانت تضرب له
قبة حمراء في سوق عكاظ ويأتيه الشعراء فينشده كل منهم شعره ليصدر حكمه
فيه . أتاه الأعمى مرة فأنشده ، ثم حسان فأنشده : فقال : لولا أن أبا بصير
أنشدني آنفا لقلت : إنك أشعر الجن والانس ! . قال حسان : والله لانا أشعر
منك ومن أبيك ومن جدك ! فقبض التابعة على يده ثم قال : يا ابن أخي ، إنك
لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع
ثم اتجه إلى الحسناء فأنشده ، فقال : ما رأيت ذا متانة أشعر منك ، قالت :
ولا ذا خصيتين ! (ص ٣٣ الشعر والشعراء) . وقد ذكر قدامة نقده لحسان
في قوله :

لما الجففات الغر يدعن بالضحي وأسيفنا يقطرون من نجدة دما
بقوله : أكرت جفانك وأقللت أسياfk اثم رد على هذا النقد (ص ١٨
نقد الشعر) .

ومن أساطينها الذين طوواهم البين قبل الأوان طرفة بن العبد : روى المرزباني
أن المسيب بن علس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستشدوه فأنشدهم بعض شعره
فلما بلغ قوله :

وقد أنتمى إهم عند احتضاره بناج عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَم
قال طرفة — وكان صبيا صغيرا — : استنوق الجمل ! (ص ٧٦ موشح) .
وهذا يدل على أن النقد الجاهل كان فطريا يلحظه الصغار والكبار ، لأن
البلاغة طبيعة لهم والبيان سليقة فيهم .

ومنهم ربيعة بن حذار الأسدي ، وقد ذكر المرزباني نقداً له لشعر
الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم وعبد بن الطيب والمخيل السعدي ، فليراجعها
من شاء (ص ٧٥ موشح) .

في صدر الاسلام :

وقد نزل القرآن باللسان العربي المعروف ، ولكن بأسلوب غير مألوف ،

ورأى الناس منه نهجا جديدا، وتعبيرا فريدا، بهر البلغاء وأعجز الفصحاء، وسمعوا به نظما طريفا، جمع إلى السلاسة دقة التعبير، وإحكام النسيج، وجمال السبك، فأخذوا بقوته، وسجدوا لبلاغته، وحنوا رءوسهم أمام شدة أسره وعظمة أسلوبه، ثم حاولوا أن يحاكيوه فشرعوا يغترفون من بحره، وينهلون من فيضه، ويقبسون من نوره، حتى نشأ لهم أسلوب جديد هذب القرآن وغير به نهج البيان. وفي هذه الأثناء كان الإسلام يطوى بين جناحيه كثيرا من حواضر العجم وبمالكها، فدخل في حوزته أكثر سكانها، واندفعوا يتعلمون القرآن ويدرسون شرائعه وأحكامه لأنه الدستور الخالد لدينهم الجديد.

وإذا كان القرآن عربيا، كان لابد من تعلم العربية لغة الدين ولسان الفالحين، والمغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته ووسائل أحواله وعوائده كما قال ابن خلدون (ص ١٤٧ مقدمة)، والناس أبدا على دين ملوكهم وحكامهم.

هذا بدأت الحاجة تظهر إلى تلك المدرسة، فأخذت القضايا الأدبية تنهال على محكمة النقد، وارتفعت بعض الشكاوى من المخالفين لقانون البيان العربي، فبدأ العمل في وضع قوانين الصياغة وقواعد اللغة العربية. وقد تأثر الأسلوب الأدبي في هذا العصر تأثرا واضحا، جذدت تعابير حديثة، وماتت عبارات وألفاظ قديمة لم يرتضها الإسلام أو لم تنسج مع الأسلوب المذهب الذي أوجده القرآن الكريم والبلاغة النبوية السامية، وترتب على ذلك أن جاء كلام الإسلاميين عموما أعلى طبقة في البلاغة وأدواقها من كلام الجاهليين منطوهم ومشورهم (ص ٥٧٩ مقدمة).

والسبب في ذلك - كما قرر ابن خلدون - أن الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصنى رونقا وأرصف مبنى وأعدل تنقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة، قال: وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة (ص ٥٨٠ مقدمة) ويتفق الثمالي في هذا الرأي مع ابن خلدون (ص ٣ ج ١ يتيمة الدمر).

ومن عملاء هذه المدرسة حينذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد منح

الله بصيرة نفاذة الى الاعماق، وفكرة نقادة في أوسع الآفاق، وكان صلوات الله وسلامه عليه سيد البلغاء وإمام الفصحاء. سئل مرة عن زهير فقال: إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء. وسمعنا كلام ابن أبي سلى، فما سمعنا مثل كلامه من أحد (ص ٥٥ ج ١ زهر الآداب)، وقال صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس: إنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار (ص ٧٦ ج ١ عمدة).

ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. والذي يقرأ حكومته بين النجاشي وبنى العجلان (ص ٢٠٢ ج ١ بيان) أو بين الخطيئة والبرقان (ص ٣٩ ج ١ ديوان المعاني) يأخذه العجب من قوة إدراكه وحسن توسله في معاني الشعر، لإخراجها عن الهجاء. ولقد حكى الجاحظ في رواية هذه الاخبار: أن عمر كان أعلم الناس بالشعر. وقال الجحى: كان عمر لا يكاد يعرض له أمر إلا استشهد فيه بيت شعري (ص ٢٠٤ ج ١ بيان) ولكنه مع ذلك كان يفيض التعرض للشعراء ويكل الأمر الى حسان بن ثابت وأمثاله ممن تهون عليهم سباهم؛ فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم. ويكون قد خلع بعرضه سليما. قال مرة لابن عباس: هل تروى لشاعر الشعراء؟ قال: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أن حمدا يخذ الناس أخلدوا
ولكن حمد الناس ليس بمخلد
قال: ذاك زهير. قال: فذاك أشعر الشعراء. كان لا يعاقل في كلامه، ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. (ج ١٠ ص ٢٨٩ أغاني دار الكتب).

ومنهم حسان بن ثابت. وكان عمر يحكمه في الخصومات الأدبية (ج ١ ص ٣٨ عمدة). سئل مرة: من أشعر الناس؟ فقال: رجلا أم حيا؟ قيل: بل حيا. فقال: هذيل (ج ١ ص ٧١ عمدة).

ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. سئل مرة عن امرئ القيس، فقال: رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، وإنه لم يقل لرغبة أو لرغبة (ج ١ ص ٧٧ عمدة). وهذا يدل على إدراك صادق لمعنى الفاعرية، وبفضله - كرم الله وجهه - وضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو (ص ٦٠ الفهرست) حين بدأ اللحن يطل برأسه من خلال الحياة الجديدة. وبهذا خضت مدرسة النقد الأدبي خطوة جديدة الى الامام.

التعريف بالعالم الاسلامي

امارة الكويت الاسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي
المدرس بمعهد القاهرة

الحالة الاقتصادية :

تعتبر التجارة الركن الأعظم لتقدم البلاد : لأن الكويت قاحلة ، لا زرع فيها يغنيها عما سواها ، وأهم بلد يتجرون معه هو ، البصرة ، إذ يستصدرون منها القمح والشعير والتمر والخضر والفواكه . وكذلك اتخذوا بغداد سوقاً لتجارة اللؤلؤ : وقد حدثت بين الكويت ونجد منازعات طويلة حول التجارة ، إذ رأى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية لبعض الأسباب أن يمنع رعيته من الاتجار مع الكويتيين . ثم تم الاتفاق أخيراً بين حكومة الكويت وعاهل الجزيرة على تنظيم التجارة بين البلدين ، وتموين نجد من الكويت ، بمعاهدة تكفل حقوق الطرفين : وكان ذلك في سنة ١٩٣٩ م .

وفي الكويت من الصناعات : الحياكة والتجارة والحدادة والصياغة ، وصنع السفن الشراعية ، حتى إنهم كثيراً يبنون سفناً تسع الواحدة منها ستة آلاف من قواصر التمر ، أي ما يقرب من خمسمائة طن ! .

وليس للكويت من الحاصلات أو الصادرات ما غيرها من الاقطار الكبرى ، فهي ليست زراعية ولا صناعية ، ولذلك تقتصر على تصدير الدهن والصوف ، وفراء الثعالب والبهايم ، وفرائد اللؤلؤ . وقد كانت تجارة اللؤلؤ في الكويت إلى عهد قريب هي أهم مصدر للربح ، وكانت الكويت تعرف به . ولكن أسعار اللؤلؤ اليوم قد انضمت ، وسوقه قد كسدت : وذلك بسبب مزاحمة اللؤلؤ الصناعي الذي ابتكره اليابانيون . وقد حدثني صديقي الأستاذ عبد العزيز حسين الكويتي أن في الكويت عائلات كبيرة ، كانت معروفة بالثراء والنعمة ، ولكنها نكبت نكبات قاسية من جراء هبوط أسعار اللؤلؤ بسبب هذه

المزاحمة التجارية ، وأن والده كان من تجار اللؤلؤ في الكويت ، وقد خسر في هذه التجارة مبالغ طائلة من أثر ذلك الانقلاب ! .

وقد استبدل كثير من الغواصين وتجار اللؤلؤ بسفن الغوص سفنا كبيرة يستخدمونها في التجارة بين الكويت وسواحل الهند ، وهي تدر مبالغ ضخمة على الرغم من الأخطار التي تصادفها . وعلى ذلك يصح أن نقول إن التجارة قد احتلت الموضع الذي كان يحتله اللؤلؤ قبل عشر سنوات ! . ومع هذا فلا تزال للؤلؤ مكانته ، ولا يزالون يفحصون عليه باحثين منقبين .

وليس استخراج اللؤلؤ عملا سهلا يطيقه كل من أراده أو حاوله ، بل له نظم خاصة وأوقات معينة معروفة : ولغوص على اللؤلؤ رجال مدربون ، وسفن مدربة ، ولكل واحد في السفينة وظيفة وعمل ، وهم يتجهزون بالطعام والشراب والسياب ، ويخرجون للبحث عنه . فيقضون في ذلك أياما عدة : وللغواصين على اللؤلؤ هناك زعيم لا يرجعون إلى وطنهم إلا عندما يصدر أمره إليهم ، فإذا انتهت المدة المعبية لهم من قبل حاكم البلد ، أخذوا ينتظرون الإشارة من زعيمهم ، وهي إطلاق مدفع يشور من سفينة ، فإذا سمعوا دوى المدفع تركوا عملهم ، وعادوا إلى أهلهم ، فإذا ما شاهدوا الكويت ولاحت لهم قصورها ، أطلقوا المدافع شكرا لله على رجوعهم إلى وطنهم سالمين غانمين ! . . .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن الغواصين يقصون أمورا غريبة يشاهدونها في البحر ، فيتمولون إنهم يرون في القاع كهوفا عظيمة ، وغابات مظلمة ، وكشانا مرتفعة . وجبالا عالية ، وبعضهم يغلو في الإغراب فيزعم أنه شاهد في القاع رجالا ونساء من الجان بين صخور البحر وكهوفه ، ويتبين لكم ما في بعض هذه القصص من بعد عن الحقيقة حينما تعرفون القصة الطريفة التالية .

حدث أحد المهرة من الغواصين عن نفسه ، قال : كنت مع أصحابي يوما في مغاص اللؤلؤ . فنزل أحدهم إلى البحر ، ولم تكد تظا رجله الأرض حتى صعد إلينا خائفا مرعبا ، وأخبرنا بأنه شاهد امرأة من الجان جالسة في القاع وعليها عباءة سوداء ، وذكر لزيادة التأكيد أشياء من أوصاف العباءة ، فرأى أحد

إخوانه أن ينزل ليتحقق الخبر ، فجرى له مثل ما جرى لصاحبه ، ثم نزل الثالث والرابع وهكذا ، حتى فعل ذلك جميع من كان في السفينة ، وكلهم انفقوا على صدق ما قاله الأول ، فلما رأيت الكل قد أضربوا عن العمل بسبب تلك الحادثة رأيت أن أكشف الحقيقة بنفسى . ولكننى عند ما نزلت وجدت الأمر كما قالوا . . . فدهشت وأصابنى من الرعب ما كاد يضطرني إلى الخروج ، غير أن نفسى أبت على أن يتحدث الناس عني بأننى جبان ، فصممت على استجلاء الحقيقة مهما كانت النتيجة ، فأقدمت على الجنية ، ولويت يدي عني عنقها بكل قوتي ، وقد أغمضت عيني ، فما أشعر إلا بالدم يجرى من يدي ، ففتحت عيني ، والصخر يصدمني صدمة عنيفة . فرأيت أنني قد صدمت بصخرة قد تلبست بعباءة . . . ولا تسئل عن فرحى عند ما عرفت الحقيقة . . . ولكننى أردت مداعبة أصدقائي ، فلبست العباءة وخرجت عليهم متخفيا بها ، فلما رأوني رموا أنفسهم في البحر ، وتركوا السفينة بما فيها ، إذ اعتقدوا أن الجنية قد قضت على ، وخرجت إليهم لتفضي عليهم أيضا . ولم يرجعوا من البحر إلا بعد أن سمعوا صوتي وأنا أضحك عليهم ساخرأ منهم !!

مركز تحقيق الكويت لعلوم راسدي

الحالة السياسية :

أما عن حالة الكويت السياسية فحسبكم علما بها أنها قد دخلت تحت الحماية الإنكليزية من سنة ١٩١٣ م : ولم تكن هناك حكومة بالمعنى الصحيح في أول نشأة الكويت ، إذ كان آل الصباح المنشئون لها أسرة واحدة لا تحتاج إلى حاكم ، ولكن لما هبط عليهم الناس من هنا وهناك ، وخالطهم بعض الأجانب رأوا أن يولوا عليهم حاكما منهم ، فأجمعوا أمرهم على صباح الأول ، فقبل ، وظل الحكم من أيامه إلى أيام مبارك الصباح . شوري : يستشير الحاكم وجهاء القوم فيما ينتابه من المهمات ، وما يعرض عليه من القضايا ، وليس له الرفض أو القبول بعد أن يقر رأيهم على أمر : لأن السلطة الحقيقية لهم ، وإنما يعطى اسم الرئاسة عليهم تفضلا ، بل قد يذهب الأمر إلى أبعد من ذلك ، إذ يعجز الحاكم أحيانا عن أخذ الحق من بعضهم ، كما يتبين في القصة التالية :

فأخذ بعض هؤلاء الوجهاء سلطة إلى أمد من أحد الكويتيين : فلما دنا

الأجل ذهب الدائن إلى المدين يطالبه بحقه ، ولكن الوجيه ماطل : وامتنع عن الوفاء ، فرفع الرجل شكواه إلى الحاكم ، فصارحه الحاكم بأنه لا يستطيع إكراه ذلك الوجيه على الدفع ، ثم أرشده الحاكم إلى حل يدل على النباهة والذكاء . قال له : الرأي أن تذهب إلى زوجة هذا المدين المماطل فتخبرها بأن زوجها قد قال يوم أخذ السلعة : « امرأتى طالق ثلاثاً إن لم أوف إليك حقك عند أجله » ، فإنك ستحصل بتلك الحيلة على ما تريد : لأن ذلك الوجيه لا يرد لزوجه طلباً ، إذ هو عبد لها ، فقبل الدائن ذلك الرأي وقصد الزوجة فشرح لها الأمر ، فوعده بأن تحقق له رجاءه ، ولما عاد زوجها إلى البيت احتجبت منه وامتنعت عليه ، فدهش لذلك وسألها عن السبب ، فأخبرته بالقصة ، وحثمت عليه أن يسارع بأداء الدين قبل اتصاله بها ، فأكد لها الزوج أن ذلك كذب وافتراء ، ولكنها امرأة ، فلم تصدقه ، فاضطر الرجل أن ينزل على أمرها ، وأدى إلى الدائن حقه .

أمير الكويت :

أما حاكم الكويت اليوم فهو الأمير الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح ، وهو الحاكم العاشر من حكام الكويت ، وكثيراً ما يخاطبونه في الكويت قائلين في خطاباتهم : « مولانا الأمير الجليل ، صاحب العز والسيادة الشيخ أحمد بن جابر الصباح حاكم الكويت المفخيم أدام الله عزه وتوفيقه » .

وهو نجل الشيخ جابر بن مبارك آل الصباح ، ولد في الكويت سنة ١٨٨٠م على الأرجح ، ونشأ فيها وتعلم القراءة والكتابة في قصر والده ، وهو ربيع القامة حنطى اللون ، ممتلئ الجسم كث الشعر بهي المنظر ، لطيف الحديث جذاب الملامح رزين متواضع ، يميل إلى معالجة الأمور باللين والحكمة ، بعيد عن العنف وسفك الدماء ، بعيد عن المحرمات وتعاطياها ، معروف بالميل إلى الاقتصاد ، ولديه ثروة كبيرة تقدر بالملايين ، وهو يلبس الملابس العربية ، وأبناء الكويت جميعاً في ذلك مثله ، ويضع الكوفية (الصمادة) والعقال على رأسه ، ويلبس العباءة دائماً . وينهض سموه مبكراً من النوم فيتوضأ ويصلي ويقرأ ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم يشرب القهوة ويفطر ، ثم ينتقل بالسيارة إلى قصر الحكم في داخل

مدينة الكويت (وقصره الذي يعيش فيه يسمى الدسمان) وهو واقع في الطرف الشرقي من مدينة الكويت ، ويطل على خليج فارس ، فيستقبل الزائرين والموظفين وينظر في الرسائل والكتب والشئون الأخرى حتى الظهر فيتغدى مع من يكون هنالك من الزوار والحاشية ، ثم يصلي الظهر جماعة في مسجد القصر مع الموجودين ، ثم يستريح إلى العصر ، وقديما كان يغادر القصر إلى قهوة السوق ، وهي قهوة كائنة في وسط سوق الكويت التجارية . وحوله رجال الشرطة والحجاب ، فيجلس فيها فيلتفت الناس حوله . فينظر في مصالحهم وقضاياهم ويفصل فيها ، أي أنه كان يأتي إلى المتقاضين بدلا من أن يأتواهم إليه ، وتلك عادة جميلة قديمة من عادات شيوخ الكويت : وبعد أن ينتهي من نظر القضايا يعود بالسيارة إلى قصره قرب المغرب ، فيصلي جماعة في مسجد القصر مع من يكون هناك من الزوار والحجاب والخدم وراه إمام القصر الخاص ، ثم يتعشى مع الزوار والحاشية في غرفة المائدة ، ثم ينقل مع ضيوفه إلى المشرب فيتناولون القهوة ويسمرون حتى يأتي موعد النوم ، وهو يكر إليه في أكثر لياليه . . . أما اليوم فقد أثبت بالكويت بحاكم تقوم بالقضاء والفصل في الخصومات نيابة عن الأمير .

وقد سن الأمير سنة طيبة حميدة ، وهي الاستماع إلى الدروس الدينية من بعض العلماء في وقت معين من النهار أو الليل ، يقول الأستاذ عبد العزيز الرشيد : لا نعلم أن أحداً من حكام آل الصباح اتخذ له واعظاً خاصاً في مجلسه العام كل صباح ، يفسر بين يديه الكريمتين الآيات القرآنية ، ويشرح الأحاديث النبوية ، ويبين شيئاً من الأحكام والأخلاق ، غير أميرنا المحبوب ، فقد شرفني للقيام بتلك الوظيفة العالية ، ودعاني إليها فليت فداءه ، وامثلت أمره . وقد كان يصفي لما يسمع من الآيات والمواظع إصغاء المنذر . وبقيت مدة طويلة قائماً بهذه الوظيفة الشريفة قبل ولايته . .

هذا كتاب يقع في نحو مائة وأربعين صفحة ، ولكنه خلاصة بحوث ومطالعات تقع في مجلدات ضخام ، قصد منه مؤلفه الفاضل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الأول . يبان ماهية الفلسفة في جميع أدوارها ، عند اليونانيين الأقدمين ثم عند المسلمين ، ثم لدى الأوربيين الذين بدءوا ينتقلون منها إلى الدور النهائي لاكتساب المعرفة ، وهو الدور العلى . وقد أبدع كل الإبداع في توفية حق كل ما تصدى له من البيان . فافتتح الكلام عن الفلسفة بتعيين مدلولها ، ثم انقل منه إلى بيان تطورها ، ومنه ألم بالفلسفة اليونانية فلخص مذاهبها ومقاصدها إلماما يعتبر نموذجا في اتقان التلخيص ، يلم المطالع منه بماهية الفلسفة اليونانية وأشهر ممثليها في نحو خمس وعشرين صفحة تقرأ في سوية واحدة .

ثم خرج من هذا البحث إلى دراسة الفلسفة الإسلامية وتاريخها وبيان مراميها كما استخلصها من أقوال أئمتها الذين سرد كثيرا من أسمائهم : وانتهى من ذلك إلى بيان الفلسفة الحديثة مبتدئا بعصر النهضة .

وقد جعل لنظرية المعرفة بابا خاصا ، وأتى على مذاهب الفلاسفة فيها من أول القدامى إلى اليوم . كل هذا مع بيان أشهر الآراء في مشكلات الفلسفة الخ .

موجز القول في هذا الكتاب أنه استخرج زبدة الفلسفة وجعلها في حيز يمكن كل إنسان أن يتناولها ويستفيد منها ، وهذه مقدرة في التلخيص والبيان والإحاطة تسجل لحضرة المؤلف بالإكبار والإعجاب .

نفحات من سيرة السيدة زينب

هذه رسالة تقع في ثمانى وأربعين صفحة ، أوجز فيها فضيلة الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر ، سيرة السيدة زينب رضى الله عنها .
فهي زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة الزهراء ، ولدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة بعد ميلاد أخيها الحسين بستين .

تزوجت بآل عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وصحبت شقيقها الحسين في نزوحه إلى العراق ، وحدثت هنالك المعركة بينه وبين عامل يزيد ، وقتل الحسين في المعركة فشق عليها ذلك ، واقتيدت إلى يزيد بن معاوية فسكنته كلاما موجعا وعادت إلى المدينة وأخذت تؤلب الناس عليه ، فاضطرها أشباع يزيد إلى الهجرة إلى مصر ، فأقامت بها مكرمة معظمة ، حتى توفيت في رجب من سنة (٦٢) هـ .

وفاة أنطون الجميل باشا

لبي دعوة ربه إلى العالم الباقي كبير الصحفيين المصريين ، أنطون الجميل باشا ، فكان لنبه أثر عظيم في القلوب ولما عرف به من حسن الاضطلاع بمهمته العظيمة ، وجهل الآخر في خدمته الصحفية ، والتفرد عن الهوى في تغذية الرأي العام ، فكان في قيادته لسياسة أكبر جريدة في الشرق ، مثالا حيا للاتزان وبعد النظر ، فإذا كان أصحاب الأهرام لم يدخروا وسعا في تهويم عملهم بما يحتاج إليه من المال الوفير ، فإن أنطون الجميل باشا استطاع بما أوتيته من استقامة الرأي ، وتوخي الاحسن ، وتجرى الحقائق ، والترفع عن السخايف ، أن يرفع الأهرام إلى مستوى من السمو يعتبر المثل الأعلى في الصحافة .

أدرك أنطون الجميل باشا ، كما أدرك ذلك من سبقه في الأهرام ، أن مصر في عهدهما الراهن من الانتقال السياسي ، وما يمنوش هذا الدور من تفرق الكلمة ، واختلاف الأنظار ، في حلقة ماسية إلى منبر عام ، يستطيع كل صاحب مبدأ أن يدل منه يراه إلى الجماهير في حرية تامة ، وجو بعيد عن المبالاة والملاحاة ، غرق بقلبه موقفا وسطا في مزدحم المتنازعين ، ولا يكن في غير تضحية بمذمبه الفضل الذي كان يقضى به بين حين وحين ، غير منعرض لحزب ، ولا متعامل على طائفة ، حتى جعل الأهرام يقبض من وجوه حتى جريدة التيمس اللندنية في اعتمادها عن الحقائق ، وإشاداتها بكل اصلاح تقوم به أية جماعة من الجماعات السياسية في تلك البلاد .

وكان فقيدنا بما أوتي من الميل إلى العلم والأدب ، وهما الموضوعان اللذان بدأ بهما حياته العملية ، يعجج المشتغلين بهما ، ويرحب بشمات جهودهم فيلجسها في أحسن مكان من الأهرام ، مع أنها كانت كثيرا ما تضيق عن نشر الإعلانات المنسجمة في أيام الحرب العالمية الأخيرة .

وإلى هنا لا نجد من يخصه بالتمنية في وفاته ، فكل الناس سواه في التأثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احتفال الازهر

بعيد المولد النبوي الكريم

في الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ١١ ربيع الأول ١٣٦٧ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٨ . قصد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشناوي ، السراشق الضخم الذي أقامته مشيخة الأزهر الشريف في ساحة المولد النبوي الكريم بالعباسية لتحفل فيه بعيد مولد محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فقبل فضيلته بحفاوة رائعة ، وهتافات مدوية ، اشترك فيها الشعب والطلبة .

مركز تهيئة كتيبات علوم إسلامية

وابتدأت الحفلة . فآلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة مدير الوعظ كلمة قيمة في ذكرى المولد ، ختمها بالدعاء لجلالة الملك ، وبالتعبير عن شعور الأزهر العظيم ، وسروره البالغ ، بتعيين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخاً للأزهر : ودعا لفضيلته بالتوفيق في عهد الأزهر الجديد . ثم ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المعبود سلام مفتش الوعظ المساعد ، والأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلا الواعظ ، كلمتين مناسبتين للمقام . وإلى القراء الكلمة القيمة التي نشرها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر في هذه المناسبة الكريمة :

* * *

حق على الناس أن تشجهم أفكارهم عند ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى سامي حكمة المولى عز وجل ، وسنة الهدى الذي أجراه في خلقه ، وخلق كل شيء بقدره تقديرًا ..

فقد اقتضت حكمته السامية ، ورحمته الواسعة ، أن فطرهم على دين الحق ، وأودع فيهم مبادئ الخير ، وما زالوا على ما فطرهم عليه من الإيمان بالله ، والثقة بالنفس ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، هائنين بحياة سعيدة ، حتى يوسوس لهم الشيطان ، فتتحرف قلوبهم عن الإيمان ، ويفسد ما بينهم ، وتسوء حالتهم ، وعندئذ يتجلى الله برحمته على عباده ، فيبعث فيهم رسولا ، يذكرهم بما أنساهم الشيطان ، ويردهم إلى حظيرة الإيمان . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .
 «سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وإن تجدد لسنة الله تبديلا» .

ولقد كان العالم قبيل مبعث الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتخبط في ظلمات الجهالة ، وسفين أمره في بحر لجي من الأهواء والشهوات ، لا يعصمه فيه كتاب : وأصبح الأمر في الناس فوضى ، يرسفون في أغلال من المنكرات التي تمجسها الفطر السليمة ؛ فقويهم بملك أمر الدنيا من مال وسلطان ، ويبسط على من سواه كل غت وإرهاق ؛ وتقطعت أسباب المودة بين الناس ، فشنوا الغارات ، وأقاموا الحروب لأتفه الأسباب . وتمادوا في طغيانهم ، فوأدوا ، البنا ، وقتلوهن خشية الإملاق *تحت إشراف كميتر عيسى*

وعندئذ تجلت رحمة الله بعباده ، فبعث في العالم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وجاء بأسمى المبادئ ، لتحقيق العدالة والمساواة بين الناس ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، يأبى الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على البر ، والتواصي بالفقراء ، والعطف على اليتامى ورعايتهم ، وعني بعلاقات الناس بعضهم ببعض ، فأقامها على أساس قويم من المحبة ، والوفاء ، والإخلاص لله .

ولقد جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة ، ولاقى من صنوف الإيذاء والاضطهاد ما لاقى ، حتى كتب الله النصر لدعوته ، وأتم على عباده نعمته . نسأل الله الكريم أن يعيد هذه الذكرى المباركة ، وقد تحقق عز العروبة ، ومجد الإسلام ، مبتهلين إليه سبحانه أن يحفظ مولانا صاحب الجلالة الملك

فأروق الأول، وأن يمدد بعون منه ، ويوفقه إلى ما فيه مصلحة العباد ، وسعادة
البلاد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذه كلمة فضيلة الاساذ الكبير الشيخ محمد عرفه
مدير الوعظ والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . »

وإنها لمنة عظيمة . ونعمة كبرى . ولقد علم المسلمون فضل هذه النعمة : فهم
يحتفلون في كل عام بمولده صلى الله عليه وسلم ، ويجعلونه يوما معدوداً ، وعيداً
مشهوداً : وخير ما يصنع في الاحتفال به أن تنشر أخلاقه وصفاته صلى الله عليه
وسلم ، ليقتدى بها المسلمون . « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . »

ونحن سنذكر صفة واحدة من صفاته لتكون عظة العام ، نتعظ بها وتندبرها ،
ونفرسها في نفوسنا : هذه الصفة هي « الأمل » .

كان محمد صلى الله عليه وسلم عظيم الأمل فلا يقنط ، وكان كبير الرجاء
فلا ييأس ، وكان وهو في أحلك الأزمات يمتنى أصحابه بملك كسرى وقيصر .

هذا الأمل غرسه وتعهده في رسول الله أمور أربعة : إيمانه بالله ، وإيمانه
بالفضيلة ، فكان يعتقد أن الله ينصر الفضيلة والفضلاء ، ويخذل الرذيلة والأرذلين .

وإيمانه أنه كان هو وأصحابه على الحق والهدى ، وأن خصومه على الباطل
والضلال ، وأنه في هذا العراك المحتدم بينهم لا بد أن يدال من المبطلين للتحقين ؛
والقرآن الكريم مشحون بهذه العقائد ، يرددها ويثبتها في نفوس المسلمين : « ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون . »

وتربية صالحة : فقد رباه الله أحسن تربية ، فحبب إليه الأمل ، وبغض إليه
اليأس والقنوط ، وجعلهما من صفات الضالين والكافرين . ولا تيأسوا من

